من قيم
الحضارة الإسلامية

حصاد غرسكم 2022

7.582
طالباً وطالبةً يدرسون في الحلقات القرآنية.

2
مساجد تم بناؤها بإشراف وتنفيذ الجمعية.

64
مجازاً ومجازة بالروايات والقراءات القرآنية.

2.144
مستفيداً من البرامج التأهيلية في المجال القرآني.

260
طالباً يدرسون في مركز معاذ القرآني التنموي.

60
مشاركاً في مسابقة معاذ العامة (شباب القرآن 2) .

103
طالباً وطالبة يدرسون في 6 مراكز علوم شرعية.

523
حافظاً وحافظة تم تكريمهم والاحتفاء بهم.

81
طالباً وطالبة حصلوا على مراكز متقدمة في الثانوية العامة.

3.452
نسخة موزعة من المصحف الشريف وسلسلة الكلمة الطيبة.

6.164
مستفيداً من البرامج التأهيلية في العلوم الشرعية.

48.796
مستفيداً من أنشطة متعددة و متنوعة أقامتها الجمعية.

الحصاد التراكمي ...

500 حلقة قرآنية لتعليم القرآن الكريم.	560 طالباً تخرجوا من مركز معاذ القرآني التنموي .	81,391 مصحفاً تم توزيعه.
4,189 حافظاً وحافظة تخرجوا من الحلقات القرآنية.	160 عالماً وداعية تخرجوا من مراكز العلوم الشرعية .	71,816 نسخة تم توزيعها من سلسلة الكلمة الطيبة.
89 مسجداً تم بناؤها بإشراف وتنفيذ جمعية معاذ العلمية .	383 مجازاً ومجازة بالروايات والقراءات القرآنية .	64,432 مستفيداً من أنشطة الجمعية المتعددة خلال العامين السابقين.

سلسلة
الكلمة الطيبة
15

من قيم
الحضارة الإسلامية

جمعية معاذ العلمية
لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية

يوزع مجاناً

محتويات الكتاب

أ نبذة عن الكتاب ٨

ب قبل أن نبدأ (مركزية التوحيد) ١٠

القسم الأول : قيم التكوين (بناء الإنسان الكوني)

١ قيمة العبودية ١٥

٢ قيمة التكريم ١٩

٣ قيمة العلم ٢٢

٤ قيمة العدل ٢٦

٥ قيمة الرحمة ٢٩

٦ قيمة المساواة ٣٢

٧ قيمة الحرية ٣٦

٨ قيمة الأمانة ٤٩

٩ قيمة الوسطية ٤٢

القسم الثاني : قيم الإستخلافي في الأرض (البناء المجتمعي

١٠ قيمة الاستقرار الاجتماعي ٤٧

١١ قيمة البر ٥٠

١٢ قيمة التعاون ٥٣

محتويات الكتاب

١٣ قيمة الوحدة ٥٧

١٤ قيمة الأخوة ٦٠

١٥ قيمة التعايش ٦٣

١٦ قيمة التكافل ٦٦

١٧ قيمة التعارف ٧١

١٨ قيمة الحسبة ٧٤

١٩ قيمة الشورى ٧٧

٢٠ قيمة الإحسان ٨٠

القسم الثالث : قيم عمارة الأرض (العمران وبناء الدولة)

٢١ قيمة الإصلاح الشامل ٨٥

٢٢ قيمة العمل ٨٨

٢٣ قيمة الجهاد والاجتهاد ٩١

٢٤ قيمة النظام ٩٦

٢٥ قيمة الوفاء بالعهود ١٠٠

٢٦ قيمة السلام ١٠٣

٢٧ قيمة سيادة الحق ١٠٦

محتويات الكتاب

٢٨	قيمة المساءلة	١١٠
٢٩	قيمة رعاية البيئة	١١٣
٣٠	قيمة الجمال	١١٦
٣١	قيمة الذوق.....	١٢١

نبذة عن الكتاب

الهدف من الدليل هو المساهمة في إعادة الأمة إلى مركز الشهود الحضاري للأمم من خلال القيم الكبرى في الإسلام والممثلة لنهج الوسطية القائم على الحق والعدل والدائر حول قيمة التوحيد، خاصة بعد أن صارت هذه القيم ثقافة النخبة بعيدًا عن جمهور الناس مما يضعف انتشار ثقافة القيم وبالتالي فاعليتها ومركزيتها في حياة الناس ، وحاكميتها في طريقة تفكيرهم ، وكانت وسيلتنا في عرض هذه القيم هو اقتداء طريقة الإمام النووي ﷺ في كتابه (رياض الصالحين) في جمع النصوص المتعلقة بموضوع معين، وتبويبها بما يدل ويدلل على الموضوع الذي سيقت من أجله ، وإنما اقتدينا هذه الطريقة لأنها طريقة سهلة ومعهودة في مخاطبة جمهور الناس، كما أنها تعتمد العرض المباشر للنص القرآني والرواية في عرض الفكرة وتعيد المتلقي إلى النبع الصافي ، إلا أن هذا الكتاب يتميز عن (رياض الصالحين) بما يلي:-

١. أنه لا يقتصر على الآيات والأحاديث الصحيحة فقط ، بل اعتمدنا تصدير الآيات تأسيسًا وتوجيهًا، ثم ما صح من كلام النبوة تنزيلًا وتطبيقًا ، ثم أضفنا لذلك في أغلب أبوابه ما أُتيح من سنن وتطبيقات الخلفاء الراشدين، ودلائل من القواعد الشرعية، وشواهد من كلام أئمة أهل العلم، ومقتطفات من روائع الشعر العربي ، وبذلك كان ترتيب الموضوع كالتالي : (آيات قرآنية، أحاديث نبوية، سنن وتطبيقات الراشدين، كلام أهل العلم ، كليات عامة، أمثال سائرة – شعر عربي) ، كما أضفنا بعض التعليقات الموجزة لتوضيح دلالة بعض الآيات أو الأحاديث بما يخدم الموضوع ويقرب المعنى للمستمع.

٢. أن الكتاب وإن كان مفيدًا جدًا للقراءة عقب الصلوات الراتبة وفي التجمعات حيث لا يستغرق الدرس ٥-٧ دقائق كرياض الصالحين إلا أنه يمثل – أيضاً – دليلًا معينًا للواعظين والواعظات في تحضير المواعظ القصيرة حيث أننا حاولنا الاختيار من النصوص والشواهد بما يقدم موضوعًا شبه متكامل، حيث أن كل نص أو شاهد يفيد دلالة جديدة إلى الشواهد والنصوص الأخرى.

وقد جعلنا هذا الكتاب مكملًا لكتاب (رياض الصالحين) حيث كان تركيزنا على القيم الإسلامية الجامعة والممثلة للشهود الحضاري لأمة الحق، و العدل، والاعتدال، والتي لم يتطرق

إلى معظمها كتاب (رياض الصالحين)، وما تعرض له يترجح أنه لم يتوافر له في زمنه توفيتها حقها مع مساس حاجة المسلمين إليها اليوم، وتبسيطها ونقلها من مجلس النخبة إلى عامة الناس.

و تم تقسيم الكتاب إلى مدخل توحيدي، وثلاثة أقسام يحوي كل قسم عشر قيم وفق ترتيب منطقي؛ يبدأ من قيم تكريم الإنسان والمتعلقة بإعداد الإنسان الصالح ومركزها قيمة العبودية، ثم قيم الخلافة في الأرض والمتعلقة بإصلاح المجتمع الإنساني، وجعلنا مركزها قيمة تحقيق الاستقرار الاجتماعي، ثم قيم عمارة الأرض ومركزها قيمة الإصلاح الشامل؛ وبذلك صارت قيم (العبودية، والاستقرار الاجتماعي، والإصلاح الشامل) هي المركزيات الأساسية الثلاث لمجموع القيم الكبرى في الإسلام ، مع التأكيد على أن التوحيد هو مركز هذه الثلاثية ومركز جميع القيم على الإطلاق، كما أن منظومة هذه الثلاثية، بترتيبها تمثل الوظائف الرئيسية لخلق الإنسان (العبادة والخلافة والعمارة).

وننشد هنا قول إقبال:

كلمة التوحيد منك المقصد ... أنت للتكبير فيها توجد
الجهاد المر حلف المسلم ... أو يدوي الحق بين الأمم
أنت لا تدري بآيات الكتاب ... أمة العدل يسمينا الخطاب
أنت في الأيام نور وبصر ... شاهدٌ أنت على كل البشر
ادعون كل لبيبٍ أبلغ ... وعن الأمي قولًا بلغ
قوله ما فيه نطقٌ عن هوى ... صادقٌ ما ضلَّ يوماً أو غوى
نبض هذا الكون قد جسَّت يداه ... فتجلى سر تقويم الحياه

وما تم وضعه _ في هذا الكتاب _ هو محاولة أولية اقتصرنا فيها على واحد وثلاثين موضوعًا مع قناعتنا التامة بحاجة هذا الكتاب إلى مزيدٍ من جهد وعون العلماء الراسخين، والأكاديميين الفضلاء، والدعاة المخلصين ليخرج في أجمل حُلَّة، وينفع به اللهُ الناسَ سائلين منه سبحانه وتعالى الأجر والثواب لكل من ساهم في إعداده، وكل من سيساهم في تنقيحه بالتصحيح والإضافة ؛ والله الهادي إلى سواء الصراط.

إدارة العلوم الشرعية بـ

مركزية التوحيد

يمثل التوحيد بأقسامه الثلاثة (توحيد الربوبية– وتوحيد الألوهية – وتوحيد الأسماء والصفات) أساس الحق والتشريع، ورأس العدل، وعلة العبادة، وصلاح الكون، والحقيقة المطلقة، ولذا جعل الإسلام أول دعوته إلى التوحيد، وجعل الشرك أعظم الظلم الذي لا يغفره الله لأحدٍ من خلقه، ولأجله أرسل الله الرسل، وأنزل الله الكتب، وخلق السماوات والأرض، وأقام سوق الدنيا والآخرة، وبث عليه الدلائل في كل أرجاء الكون، وشهد عليه وأشهد عليه ملائكته وأهل العلم من عباده، وجعله الملة الحنيفية والفطرة التي فطر الناس عليها، وحول التوحيد تدور كل القيم التشريعية والاجتماعية والكونية وعليه تقوم، ففي جعله الملة الحنيفية، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥] وفي جعله الفطرة البشرية قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وفي جعله غاية خلق الأكوان قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] ، وفي كونه شهد به، وأشهد عليه ملائكته وأولوا العلم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، كما فاضل به بين بقية المعبودات فقال: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وجعله المشترك بين كل الأديان، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، و جعله أساس صلاح الكون، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وجعله أساس نجاة العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ فَقَالَ: « يَا مُعَاذُ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ. قَالَ: « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ »، قَالَ: فَقُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثًا،، ثُمَّ قَالَ: « حَقُّهُ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ

عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ »، فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،، قَالَهَا ثَلَاثًا وَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثًا، فَقَالَ: « حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، وَأَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ » (حديث صحيح، مسند أحمد ط الرسالة شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون (٣٦ / ٣٦٧)، وعن ابن عباس ﷺ قال: لمّا بعث النّبيّ ﷺ معاذا إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إنّك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحّدوا الله تعالى.. » (رواه البخاري ومسلم)، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: « أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، مُسْلِمًا (٢) وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (حديث صحيح، مسند أحمد، ط. الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون :٢٤ / ٨١)، ودَخَلَ رِبْعِيٌّ بن عامر على رُسْتُمُ: فَقَالُ لَهُ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِن ضيق الدنيا إلى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ).

(البداية والنهاية، ط. إحياء التراث :٧ / ٤٧)

وقال ابن القيم ﷺ: (فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْقِسْطِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ رَأْسُ الْعَدْلِ وَقِوَامُهُ، وَإِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَالشِّرْكُ أَظْلَمُ الظُّلْمِ، وَالتَّوْحِيدُ أَعْدَلُ الْعَدْلِ، فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً لِهَذَا الْمَقْصُودِ فَهُوَ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، وَتَفَاوُتُهَا فِي دَرَجَاتِهَا بِحَسَبِ مُنَافَاتِهَا لَهُ، وَمَا كَانَ أَشَدَّ مُوَافَقَةً لِهَذَا الْمَقْصُودِ فَهُوَ أَوْجَبُ الْوَاجِبَاتِ وَأَفْرَضُ الطَّاعَاتِ). (الداء والدواء: ١٢٨) ، ويقول شيخ الإسلام ﷺ: (وَأَصْلُ الْعَدْلِ الْعَدْلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ; فَإِنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾) (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية :١ / ١٠٦) ، ومما قاله كذلك: (والتوحيد هو أصل الدّين الّذي لا يقبل الله من الأوّلين والآخرين دينا غيره، وبه أرسل الله الرّسل، وأنزل الكتب، كما قال الله. ﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء/ ٢٥] (نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم :٤ / ١٣٠٤)، ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان ﷺ: (والتوحيد في الإسلام هو كل الإسلام، والقرآن كله يدور حول التوحيد، فآيات القرآن إمَّا إخبارٌ عن الله وصفاته وخلقه وأفعاله وتدبيره، وإمَّا أمرٌ ونهيٌ وهما من لوازم ربوبيته وقيوميته على خلقه، وإمَّا بيان للثوب بأنواعه، وهو جزاء من أطاعه واتَّبع رسله الذين أرسلهم بشريعته القائمة على توحيده في الألوهية والربوبية، وإمَّا بيان للعقاب بأنواعه وهو جزاء المخالفين لشرعه، وإمَّا إخبار عن أحوال المكذبين الماضين وهو بيان لمن خرج عن مقتضى توحيده وعبادته ، فالتوحيد هو لب الإسلام وأساسه، ومنه تنبثق سائر نظمه وأحكامه وأوامره ومناهجه، وكل ما فيه عبادات وأحكام يرسخه ويقويه ويثبته في

قلوب المؤمنين). (أصول الدعوة: ٢٤)

– وفي مقامة التوحيد للزمخشري ﷺ: (أفلاكٌ مسخرة وكواكبُ مُسيّرة تطلعُ حيناً وحيناً تغرُب، وينأى بعضُها عن بعضٍ ويقرُب، وقمرٌ في منازلِهِ يعوم، وشمسٌ في دورانها تدومُ فما تقوم، وأرضٌ مذللةٌ لراكبها.. للمشي في مناكبها ممهّدةٌ موطّدة، بالرّاسياتِ موتدة، وبحرانِ أحدُهما بالآخرِ ممروج، وماءُ الأجاجِ منهُما بالعذبِ ممزوج، وحجرٌ صَلدٌ ينشقُّ عنِ الماءِ الفُرات وينفلقُ عنِ الشجرِ والنبات، وحَبٌ ينشأ منهُ عُروقٌ وعِيدان، ونوَى ينبُتُ منهُ جبّارٌ وعَيدان، ونُطفةٌ هي بعدَ تسعةٍ إنسان لهُ قلبٌ وبصرٌ ولِسان، وفي كلِّ جارحةٍ منهُ غرائبُ حكمٍ يعجزُ اللّسانُ الذَّليق أن يحصرَها ويحصيها، ويعزُّ على الفهمِ الدقيقِ أن يبلغَ كُنهها ويستقصيها، ما هذه إلا دلائلُ على أنَّ وراءَها حكيماً قديراً. عليماً خبيراً تنصرَّفُ هذهِ الأشياءُ على قضائهِ ومشيئته. ويتمشّى أمُرها على حسبِ إمضائهِ وتمشيته، وهي منقادةٌ مُذعنةٌ لتقديرهِ وتكوينه. كائنةٌ أنواعاً وألواناً بتنويعهِ وتلوينه، قدِ استأثرَ هوَ بالأوليّة والقِدَم وهذه كلها محدثاتٌ عن عدَم، فليملأ اليقينُ صدرَك بلا مخالجةِ ريب، ولا تزلَّ عن الإيمانِ بالغيبِ وعالمِ الغيب، ولا يستهوينكَ الشيطانُ عنِ الاستدلالِ بخلقهِ فهوَ الحُجة، ولا يستغوينكَ عن سبيلِ معرفتهِ فإنّه محجة، واجتهد أن لا تجدَ أعمرَ منكَ إليهِ طريقاً. ولا أبَلَّ بأسمائهِ المقدسّةِ ريقاً وارحم نفسكَ بابتغاءِ رحمته وأنعِم عليها بالشكرِ على نعمته، ولينكشف عن بصِرك غِطائه فأنتَ وجميعُ ما عندكَ عَطاؤه). (مقامات الزمخشري: ١١٨)

قال أبو الْعَتَاهِيَةِ:

فيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وقال آخر:

تأمل في نبات الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بأن الله ليس له شريك

القسم الأول

قيم التكوين

(بناء الإنساني الكوني)

قيمة العبودية

جعل الله العبودية حقه الخالص على عباده وجوهر التوحيد وغاية الخلق والأمر والدين القيم، كما جعلها أساس التكريم للإنسان ومساواته بغيره حتى لا يتأله بعضهم على بعض، وجعل هدفها تحرير الإنسان من أسر العادات والشهوات والمطامع وتحقيقه بالتقوى، فبقدر خضوع الإنسان لله بقدر نصيبه من الحرية، وبقدر الإحسان في العبودية بقدر إحسان الله إلى خلقه ارتفاعا في الدنيا ومكانة في الآخرة.

قال تعالى في غاية خلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ودعا إليها جميع أهل الأديان فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، بل دعا إليها جميع الناس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٢١]، ونهى عن الإلحاد في أسماءه فقال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وجعل العبادة هي الدين القيم فقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ فَقَالَ: " يَا مُعَاذُ ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ. قَالَ: " هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ " قَالَ: فَقُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،، قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثًا،، ثُمَّ قَالَ: " حَقُّهُ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ". ثُمَّ قَالَ: (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ " فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،، قَالَهَا ثَلَاثًا وَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثًا، فَقَالَ: " حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، وَأَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ " (حديث صحيح، مسند أحمد، ط. الرسالة شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون :٣٦ / ٣٦٧) ، **وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: (أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** (حديث صحيح، مسند أحمد ،ط .الرسالة، شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون: ٢٤ / ٨١)، **وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ**

صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ" (أخرجه البخاري ومسلم)

ويقول الإمام رشيد رضا﵀: (لقد أتى على الإنسان في طور اجتماعه أدوار، ومرت عليه أجيال وأعصار، وهو مغلول الإرادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين، للقائمين عليهما النفوذ التام في أفراده، والتصرف المطلق في آحاده، وهما: سلطة الدين وسلطة السياسة، أو كما يقول أهل العصر: السلطة الروحية والسلطة الزمنية .. الإسلام قرر العبودية لله وحده، والحرية في ضمن دائرة الشريعة، والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، وإطلاق الإرادة والفكر من سلطة كل زعيم، وسيطرة كل رئيس روحي، ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدًا كاملاً لله، حرًّا كاملاً بالنسبة لما سواه) . (مجلة المنار :١ / ٤٠٤) ، وقال كذلك: (لم يدع الإسلامُ لأحدٍ بعد الله ورسوله سلطانًا على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه، على أن رسول الله عليه السلام كان مُبَلِّغًا ومُذَكِّرًا، لا مهيمنًا ولا مُسَيْطِرًا، قال الله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ *لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ ، ولم يجعل لأحد من أهله أن يَحُلَّ ولا أن يربط لا في الأرض ولا في السماء، بل الإيمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده، ويرفعه عن كل رقٍ إلا العبودية لله وحده، وليس لمسلم مهما علا كعبه في الإسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه إلا حق النصيحة والإرشاد). (مجلة المنار :٢٤ / ٣٤٥) ، وقال د. عثمان علي حسن: (الحرية غاية يسعى إليها كل إنسان ويتمناها كل متمنٍ، وليسوا كلهم ينالها ويحققها، إلا من أدرك معناها وعرف سبيلها وطلبها من مظانها، ولا حرية حقيقية للإنسان إلا إذا ملك أمر نفسه، وسيطر عليها وعلى مطالبها، وسعى في تغذيتها بما تحتاجه ويصلحها، ولا يكون ذلك إلا في التذلل والتعبد لله تعالى خالق الإنسان وفطرته؛ فمن أراد الحرية الصادقة التي لا يشوبها خداع، ولا يحجبها غش فعليه بالدخول في العبودية لله؛ فمن دخلها وترقَّى في درجاتها نال من الحرية بقدر ما حقق من العبودية، فالله تعالى يريد لعباده أن يكونوا أحراراً حقيقة، ولهذا أمرهم بعبادته التي خلقهم لأجلها، وشرع لهم من صنوف العبادات ما يساعدهم على الوصول إلى هذه الغاية المطلوبة، والأمنية المرجوة؛ ولنضرب لذلك أمثلة:

– ففي الصلاة التي هي عمود الإسلام وركنه الركين يتحرر المؤمن من سلطان النوم فيصبح

هو الذي يتحكم فيه لا العكس، مع أن النوم حاجة فطرية لا يصمد إنسانُ أمام هجومه وإلحاحه إلا لوقت معلوم، لكن المؤمن المقيم للصلاة والمحافظ عليها ينفلت من نومه وينخلع من فراشه وراحته مستجيباً لنداء ربه، فيؤدي ما أوجبه الله عليه من الفريضة في رغبة ومحبة وانشراح صدر وطيب نفس، بل لاراحة له في غيرها، ولا قرار له في سواها، كما جاء عن الصادق المصدوق ﷺ: «أرحنا بها يا بلال» ، وقوله: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» .

– وفي الزكاة يتحرر المؤمن من رق المال، الدرهم والدينار ونحوهما؛ فهو يقتطع من ماله وكسب يده جزءً معلوماً يصل به المحرومين وأصحاب الحاجات، طيبة بذلك نفسه، وطالباً تطهير ماله وصونه عن الآفات، وساعياً لتنميته وزيادته بالبركة، وبانفتاح أبواب من الرزق لم يكن يحتسبها، وفي الحديث: «ما نَقصَ مالُ عبدٍ من صدقة» رواه الترمذي. وفي الحديث الآخر: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتقش» رواه البخاري.

– وفي الصيام يتحرر المؤمن من قيود الطعام والشراب وشهوة الجماع مع أنها حاجات فطرية ليس في وسعه أن يستغني عنها مختاراً، فضلاً عن كونها أشياء مباحة وطيبة ونافعة، لكن المؤمن يترك ذلك كله من بزوغ الفجر إلى مغيب الشمس طيلة شهر بأكمله طاعة لله تعالى وإيماناً به واحتساباً للأجر والمثوبة، وفي هذا تربية عظيمة، ودربة رائعة، وذريعة لطيفة لترك الحرام الخبيث الضار من الأطعمة والأشربة والشهوات، وهي التقوى التي شرع الصيام وغيره من العبادات لتحقيقها: [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] ، وفي الحديث: «من لَمْ يَدع قولَ الزُّور والعملَ به فليس للَّه حاجةً في أن يَدعَ طعامَه وشرابَه». فالصوم عن المحرمات والخبائث والمفاسد أوْلى من الصوم عن المباحات والطيبات والمنافع، وهكذا يتحرر المؤمن من وطأة العادات الضارة.

– وفي الحج يتحرر الإنسان من رق العادة؛ حيث يترك ما اعتاده من أساليب في الحياة من طعام وشراب ولباس ونوم، وأعمال وأشغال، وبَقاءٍ لدى الأهل والأولاد والأصدقاء ونحوهم من زملاء العمل أو الدراسة وغير ذلك مما يَشق عادة تغييره أو مفارقته إلا بنوع كلفة، لكنه في الحج يترك ذلك كله طاعة لله، فيخرج الناس تاركين دُورَهم وما اعتادوه، إلى بيت الله الحرام، راجلين وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ولهذا سمَّى النبي ﷺ الحج جهاداً، لكن لا قتال فيه.

ثم تأتي أعظم عبادة وأسماها ألا وهي الجهاد في سبيل الله بالنفس؛ فالنفس أغلى ما يملك

الإنسان؛ فهو يحرص عليها كل الحرص، ويجتهد في صونها عن الآفات والتلف، لكن المؤمن يعتبر تقديمها في سبيل الله ذوداً عن حياض الإيمان والأوطان إحياءً لها، وتخليداً لذكراها، ورفعة لدرجتها [وَلاَ تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ] آل عمران: ١٦٩.

– وفي نوافل هذه العبادات مجال للاستزادة والترقي في مدارج الحرية ومقاماتها، حتى يصل إلى ذروتها ويعتلي سنامها، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» .

وهكذا سائر العبادات في الإسلام تدرب المؤمن على التحرر الحقيقي، وتسعى به لنيل الحرية الصادقة، فلا أحد يتحكم في حركته ومسار حياته إلا إيمانه بربه وخالقه، لا سلطان نوم، ولا سلطان طعام وشراب، ولا سلطان شهوة ومال، ولا سلطان عادة؛ فهو عبد لله وكفى، وسيّد متصرف في احتياجاته كلها [ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ] . (مجلة البيان: ١٥٤ / ١٥٩)

ومما يروى عن رابعة العدوية:

فَلَيتَكَ تَحلو وَالحَياةُ مَريرَةٌ ... وَلَيتَكَ تَرضى وَالأَنامُ غِضابُ
وَلَيتَ الَّذي بَيني وَبَينَكَ عامِرٌ ... وَبَيني وَبَينَ العالَمينَ خَرابُ
إِذا نِلتُ مِنكَ الوُدَّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ الَّذي فَوقَ التُرابِ تُرابِ
فَيا لَيتَ شُربي مِن وِدادِكَ صافِياً ... وَشُربِيَ مِن ماءِ الفُراتِ سَرابُ

قيمة التكريم

كرم الله الإنسان بتفضيله على سائر المخلوقات؛ فنفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وجعله الخليفة في أرضه، ورزقه من الطيبات، وسخر له ما في الأرض والسماوات، ووهبه من الحواس ما يتلقى بها المعارف والعلوم ويميز بها حقيقة الأشياء وافتراق بعضها عن بعض، ورفع حرمة دمه وماله وعرضه فوق حرمة البلد الحرام في الشهر الحرام في اليوم الحرام، وعظَّمَ الإساءة إليه، وأوجب الإحسان دون نظر إلى دينه أو لونه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٧٢)﴾ [ص: ٧١-٧٢] ، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ [البقرة : ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجاثية : ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ﴾ [النمل : ٦٢]، وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة :٣٢]

وعن ابن عباس ﷺ : أن رسول الله ﷺ خطبَ الناسَ يوم النَّحر فقال:« يا أيها الناس أيُّ يومٍ هذا »، قالوا :يوم حرام، قال: «فأيُّ بلدٍ هذا »، قالوا: بلدٌ حرام، قال :« فأي شهر هذا »، قالوا: شهر حرام، قال :« فإنَّ دماءكُم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومكم هذا في بلدكُم هذا في شهرِكُم هذا »، فأعادها مرارًا، ثم رفع رأسه فقال: «اللهمَ هلْ بلَّغت اللهمَ هَلْ بلَّغت ». (صحيح البخاري :٢/ ٦١٩ رقم ١٦٥٢)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (سنن النسائي وصححه الألباني :٧ / ٨٢) ، وعَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى عبده حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا

فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (صحيح البخاري :١ / ١٥) وكان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما فقيل لهما: إنهما من أهل الأرض، أي من أهل الذمة ؛ فقالا :إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له إنها جنازة يهودي فقال:«أليست نفساً». (صحيح البخاري :٤٤١/١ رقم ١٢٥٠)، (صحيح مسلم :٦٦١/٢ رقم ٩٦١)، وعن أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب غلامًا لي فسمعت من خلفي صوتًا «اعلم أبا مسعودَ لَلَّهُ أقدرُ عليك منك عليه» فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: (هو حر لوجه الله) ، فقال :«أما لو لم تفعل للفَحتكَ النَّارُ أو لمسَّتكَ النَّارُ». (صحيح مسلم :٣/ ١٢٨٠رقم ١٦٥٩)، وعن أبي هريرة ﷺ يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: :«لا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي» البخاري

وقال الإمام ابن القيم ﷺ: (فللإنسان شأنٌ ليس لسائر المخلوقات، وقد خلق أباه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من جميع المخلوقات وطرد إبليس عن قربه وأبعده عن بابه إذ لم يسجد له مع الساجدين واتخذه عدوًا له) (مدارج السالكين :٢١٠/١)، وقال سيد قطب ﷺ: (لقد كرم الله الإنسان بخلقته على تلك الهيئة ، وكرمه بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان! ، وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته والتي استحق بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل ، وينتج فيها وينشيء، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة، وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك.. ، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان! وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض.. القرآن) . (ظلال القرآن :٤ / ٢٢٤١، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي ﷺ:(كرم الله بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.. فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير). (تيسير الكريم الرحمن: ٤٦٣)

والإسلام قد اهتم ببناء الإنسان قبل بناء العمران، ولذا نجد الخليفة عمر ﷺ قد أوقف

تقسيم سواد العراق حتى لا يكون المال حكرًا على الفاتحين، ووزع أموال القصور الفارسية على الفقراء، فقدم الإنسان على العمران... وفرعون بنى الأهرامات – قبور الملوك– بفاتورة مدفوعة من آلاف الضحايا، فلكي تفهم موقف عمر عليك أن تشعر أولًا أنك إنسان مكرم، ولكي تفتخر بفعل الفراعنة عليك أن تلبس رداء العبودية).

قال الشاعر في وصف الإنسان:

دَواؤُكَ فيكَ وَما تُبصِرُ وَدَاؤُكَ مِنكَ وَما تَشعُرُ
أَتَزعُمُ أَنَّكَ جُرمٌ صَغير وَفيكَ اِنطَوى العالَمُ الأَكبَرُ
فَأَنتَ الكِتابُ المُبينُ الَّذي بِأَحرُفِهِ يَظهَرُ المُضمَرُ
وَما حاجَةٌ لَكَ مِن خارِجٍ وَفِكرُكَ فيكَ وَما تُصدِرُ

قيمة العلم

للعلم قيمةٌ ومَنزلةٌ كبيرةٌ في الإسلام، فهو من أكثر المجالات ذِكرًا في القرآن الكريم؛ وقد ورد لفظُه ومشتقَّاته: (عليم، علمتم، عالم، علماء، نعلم... إلخ) ثمانمائة وستًّا وخمسين مرَّة، ولا تكاد تَخلو سورةٌ من سوَر القرآن الكريم من الحديث عن العلم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مُباشرة.

إن كل علمٍ يفيد الأمَّةَ الإسلامية ويمنع وقوعَها في الحرَج هو عِلم نافِع؛ كعلوم الطبِّ التي لها أثر بفضل الله تعالى في مداواة المسلمين، وعلوم تكنولوجيا المعلومات التي لها أثَر بارز في توعية المسلمين ونقل العلوم بصورة ميسرة، وعلوم الهندسة التي تساهِم في تشييد الأبنية التعليميَّة وخدمة مَصالح المسلمين، وغير ذلك.

والعلم ركيزةٌ من ركائز الإيمان بالله تعالى، وكلَّما ازداد المسلم علمًا ازداد إيمانه، وقد كرَّم الله تعالى العلماء أنْ جعلهم من الذين شهِدوا على وحدانيَّته، وفي هذا الإشهاد تكريمٌ أيما تكريم للعلم وأهله؛ قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

قال الإمام ابن كثير ﷺ تعالى في تفسيره: أنَّ هذه خصوصية عظيمة للعلماء؛ لاقتران شهادتهم بشهادة الله جلَّ جلاله، وشهادةِ الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام.

وبيَّن الله العليم الحكيم أنَّ العلم سبب في رَفع الدرجات؛ فقال الله سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

إنَّ أوَّل آية نزلَت من القرآن الكريم هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؛ لأنَّ القراءة هي أول وسائل التَّعليم والتحصيل؛ وهذا يَعني أنَّ هذه الآيات تشكِّل افتتاحيَّة وحْيِ السَّماء، وأنَّ أهمَّ ما جاء به الإسلام لتحقيقه هو نشْر العلم بكلِّ فروعه.

وقد نصَّ القرآن الكريم على أنَّ العلم لا نهاية له؛ فقال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ وذلك حتى يخفِّف العلماءُ من كبريائهم، ويَطلبوا المزيدَ من العلم؛ وقد نصَّ الله تعالى على هذه الحقيقة فقال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

وتحدَّث القرآن الكريم عن العلم بالإخبار عنه بصيغة السؤال والاستِفهام بعدم المساواة بين مَن يعلم(المتعلِّم)، ومَن لا يعلم (الجاهل)؛ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

وتارة يكون حثه على العلم والتعلُّم بما أعدَّه من جزاء وفضل للمتعلم؛ كقوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة:١١] . وتارة يخبِر المولى جلَّ في علاه بأنَّ أكثر الناس خشية وخوفًا منه هم العلماء،: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

من أعظَم الآيات القرآنيَّة التي تحدَّثَت عن العلم الآية التي طلَب المولى جلَّ وعلا فيها من نبيِّه صلى الله عليه وسلم الاستزادَةَ من العلم؛ قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

وأمَرنا الله عزَّ وجلَّ في قرآنه الكريم عند استِشكال أمرٍ من أمور الدِّين بالرجوع إلى أهل الاختصاص والمعرفة الدينية، وهم العلماء؛ فقال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]. وبيَّن النبي ﷺ إنَّ تعلم العلم فرض على كل مسلم، فقال: «طلب العلم فريضةٌ على كل مسلمٍ» (رواه ابن ماجه (٢٢٤).

و فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة، عن حذيفة بن اليمانِ ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن فضلَ العلم خيرٌ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع» (أخرجه الحاكم (١/ ٩٣)). كما اعتبر الرسول ﷺ أن طالب العلم بمنزلة المجاهد في سبيل الله ؛ فقال: «من جاء مسجدي هذا، لم يأتِه إلا لخير يَتعلَّمه أو يُعلِّمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» (رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن، وصحَّحه ابن حبان).

إنَّ حب العلم من علامات توفيق الله للإنسان، قال رسول الله ﷺ: «مَن يُرد الله به خيرًا يفقِّهْهُ في الدين، وإنما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمةً على أمر الله، لا يضرُّهم مَن خالفهم حتى يأتي أمر الله» (رواه البخاري عن معاوية رضي الله عنه).

والعلم طريقٌ من طرق الوصول للجنَّة، قال رسول الله ﷺ: «مَن سلك طريقًا يطلب فيه

علمًا، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضَعُ أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر» (رواه أبو داود، واللفظ له).

و أكَّدَ رسول الله ﷺ على أهمية دور العلماء في الدفاع عن الدِّين، فقال: «يحمِل هذا العلم مِن كل خلَف عُدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطِلين، وتأويل الجاهلين» (رواه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي).

وحرص عليه الصلاة والسلام على نشر العلم بين الناس؛ فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شَبَبةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنَّ أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركْنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رقيقًا رحيمًا، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلِّموهم، ومُروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمَّكم أكبركم» (رواه البخاري – الفتح ١٠ :٦٠٠٨).

كما حرص النبي ﷺ على أن يتعلم المسلمون اللغات الأجنبية، فعن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهودَ، قال: «إني والله ما آمَن يهودَ على كتاب»، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: «فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهودَ كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم» (رواه أبو داود (٣٦٤٥).

وحذَّر ﷺ من النية الفاسدة في التعلم، فقال: «مَن تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله – عز وجل – لا يتعلمه إلا ليصيب به عرَضًا من الدنيا، لم يجِدْ عَرْفَ الجنة يوم القيامة» (رواه أبو داود (٣٦٦٤) واللفظ له).

وأوضح ﷺ أنَّ صاحبَ العلم ينالُ ثوابَ علمه حتى بعد موته؛ فقال: «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطع عَملُه إلا من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، وعلمٍ يُنتفعُ به ، أو ولدٍ صالحٍ يَدعو لَه» (رواه مسلم).

قال عبدالملك بن إدريس:

اعلَمْ بأن العِلمَ أرفعُ رتبة ... وأجَلُّ مكتسَبٍ وأسنى مفخَر
فاسلُكْ سبيل المقتنين له تسُدْ ... إن السيادةَ تُقتنى بالدفترِ
والعالِم المدعوُّ حَبرًا إنما سمَّاه ... باسم الحَبْرِ حَمْلُ المحبَرِ
ومُضَمَّر الأقْلامِ يبلغُ أهلُها ... ما ليس يُبلَغ بالجِيادِ الضُّمَّرِ

قيمة العدل

العدل أساس الحكم والعمران، وحصن الإسلام ونظام الحياة، ولأجله نزل الكتاب ووضع الميزان، وبه يتحقق الأمن ويصلح العباد وتستقيم أمورهم وتجتمع كلمتهم وتدوم دولتهم، والميزان أداة العدل ووسيلته، والعدل يكون في الأقوال والتعاملات والأحكام، مع الصديق والعدو، مع المؤمن والكافر، والعدل قرين الحق، فلا يكون العدل إلا حقاً ولا يكون الحق إلا عدلاً، ولا يأمر الله عباده إلا بالحق والعدل، ولا تنال الحقوق إلا به.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد:٢٥]، قال ابن القيم ﷺ: (وَالْمِيزَانُ يُرَادُ بِهِ الْعَدْلُ وَالْآلَةُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْعَدْلُ وَمَا يُضَادُّهُ) (إعلام الموقعين عن رب العالمين :١ / ١٠٣) ، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحْمَنِ:٧-٩] ، قال ابن كثير ﷺ: (أي خلق السموات وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، لِتَكُونَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة ٨] والشنآن هو البُغض.

وعن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال: «سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه .. وذكر منهم الإمام العادل .. ». متفق عليه، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺعن النبي ﷺ قال : «إنَّ المُقسِطينَ عند اللَّه تَعالى عَلى مَنابرَ من نورٍ على يَمين الرَّحمنِ الذين يَعدلونَ في حُكْمِهم وأهْليهِمْ وما ولُوا». رواه مسلم

وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا بعث عاملاً كتب في عهده: (أن اسمعوا له وأطيعوه ما عدلَ فيكم). (الوافي في الوفيات :١ /١٥٩٦)، ولما جيء بالهرمزان _ملك خوزستان_ أسيرًا إلى عمر ﷺ وافق ذلك غيبته عن منزله فما زال الموكَّل بالهرمزان يقتفي أثر عمر حتى عثر عليه في بعض المساجد نائمًا متوسدًا دُرَّته، فلما رآه الهرمزان قال: هذا والله الملك الهنيء، عدلت فأمنت فنمت، والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان، فما هبْت أحدًا منهم هيبتي لصاحب

هذه الدُّرَة .(ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٨٦/١)، وكتب الجَّراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز ﵀: إن أهل خراسان قومٌ ساءت رعيتهم، وإنه لا يُصلحهم إلا السيف والسوط فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك، فكتب إليه عمر: (أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وأنه لا يصلحهم إلا السيف و السوط، فقد كذبتَ بل يُصلحهم العدل والحق فابسُط ذلك فيهم و السَّلام).(تاريخ الخلفاء : ٢٠١)

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز ﵀ إليه، أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالًا يرمها به فعل، فكتب إليه عمر (أما بعد: فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسَّلام).(تاريخ الخلفاء : ٢٠١)

وقال الإمام ابن تيمية ﵀: (وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل .. ، ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل، والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام..، وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة) (مجموع الفتاوى:١٤٦/٢٨)، وقال ابن القيم ﵀: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ فَوَرَثَةُ الرَّسُولِ مَنْصِبُهُمْ الْعَدْلُ بَيْنَ الطَّوَائِفِ وَأَلَّا يَمِيلَ أَحَدُهُمْ مَعَ قَرِيبِهِ وَذَوِي مَذْهَبِهِ وَطَائِفَتِهِ وَمَتْبُوعِهِ، بَلْ يَكُونُ الْحَقُّ مَطْلُوبَهُ، يَسِيرُ بِسَيْرِهِ وَيَنْزِلُ بِنُزُولِهِ، يَدِينُ دِينَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَيُحَكِّمُ الْحُجَّةَ) (إعلام الموقعين عن رب العالمين :٣ / ٧٨) ، وقال كذلك: (والله سبحانه حيٌ قادرٌ متكلمٌ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصفٌ له بغاية الكمال والحمد فإنَّ أمَرُه بالعدل، وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له راض به آمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه، بل ينزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسَّفَه والباطل بل أمره وشرعه عدلٌ كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه) (الأمثال في القرآن: ٢٣)

وَقَالَ بَعْضُ الحكماء: (الْعَدْلُ إحْدَى قَوَاعِدِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا انْتِظَامَ لَهَا إلَّا بِهِ، وَلَا صَلَاحَ فِيهَا إلَّا مَعَهُ، وهو مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي وَضَعَهُ لِلْخَلْقِ، وَنَصَبَهُ لِلْحَقِّ، فَلَا تُخَالِفْهُ فِي مِيزَانِهِ، وَلَا تُعَارِضْهُ فِي سُلْطَانِهِ) (أدب الدنيا والدين: ١٣٩) [بتصرف]، وقال محمد بن الحسن الثعالبي: (العدل أساس العمران، ولا ارتقاء ولا رجاء لتأليف أمة وتعاضدها وتكوين وحدتها إلّا بالعدل والأمن على الحقوق، ولهذا

كان –عليه السلام– يتولى القضاء بنفسه تأليفًا لهم وتدريبًا على إقامة العدل والاجتهاد، وتنبيهًا لهم أن يكونوا قوّامين بالقسط، وأن يلي قضاءهم من يكون أفضلهم وأنزههم وأعلمهم، ولما أضاع المسلمون ما أرشد إليه الرسول تأخروا وانحطت جامعتهم). (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي :١ / ٢٢٨)

، وخطب سعيد بن سويد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس إنّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتدّ السلطان، وليست شدة السلطان قتلًا بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذًا بالعدل). (العقد الفريد: ١ / ٢٧)

قال الإمام الشوكاني ﷺ:

إذا خَانَ الأميرُ وكاتباهُ وقاضِي الأَرْضِ داهَنَ في القَضاءِ
فوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلُ لِقاضِي الأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّماءِ

وقال عمر الرافعي:

إنَّما العَدلُ لِلبِناء أَساسٌ وَعَلى العَدلِ ما بُني فَهو باقِ

قيمة الرحمة

الرحمة صفة الله التي وسعت خلقه، وسبقت غضبه، وتجلت في أفعاله المبثوثة في آفاق الكون والحياة، وهي الصفة التي فطر عليها الخلق؛ فبها تتراحم الخلائق حتى الوحشي منها، وهي صفة نبي هذه الأمة التي جمع بها القلوب حوله، وهي الغاية الكبرى للرسالة الخالدة، وهي صفة المؤمنين التي توحدهم ويتواصون بها في العلاقة بينهم ومع سائر الخلق بداية بالمستضعفين منهم ، وهي الدافعة إلى الإحسان مع الخلق والعدل فيهم.

قال تعالى عن نفسه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] (أي وسعت كل شيء في الكون، وسعت الكافر والعاصي، والمسلم واليهودي وعابد العجل .. إلخ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ﴾ فسمائي تظلهم، وأرضي تقلهم، وبرزقي يعيشون، وبخيرى يتمتعون). (التفسير الواضح :١ / ٧٧١) ، **وقال تعالى عن رسوله الكريم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال أيضًا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ووصف الله تعالى عباده المؤمنين فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] (والتواصي بالمرحمة مع أهل المال أن يرحموا الفقراء والمساكين فيسدوا خلتهم ويقضوا حاجتهم).** (أيسرالتفاسير للجزائري :٥/ ٥٧٥)، **وقال أيضًا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وذكر تعالى مظاهر رحمته فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] ، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٤]**

وعَنْ أبي هريرة ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) (صحيح البخاري :٩ / ١٢٥) ، **وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ**

الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ» (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ – سنن الترمذي ت. شاكر :٤ / ٣٢٣) ، وعنَّ أبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» (صحيح مسلم :٤ / ٢١٠٨) ، وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخطاب ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» (متفق عليه)، وعن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: " قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسٌ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». (هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَه مُسْلِمٌ، شرح السنة للبغوي :١٣ / ٣٤) ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ غُلَامٌ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بِالقَوَارِيرِ» (رواه الشيخان)

قال الإمام ابن بطال ﷺ: (القوارير هنا كناية عن النساء اللاتي على الإبل، أمره بالرفق في الحداء والإنشاد؛ لأن الحداء يحث الإبل حتى تسرع السير، فإذا مشت الإبل رويداً أمن على النساء السقوط، وتشبيهه النساء بالقوارير من الاستعارة البديعة؛ لأن القوارير أسرع الأشياء للكسر). (شرح صحيح البخاري لابن بطال :٩ / ٣٢٤) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (سنن أبي داود ت: محمد محيي الدين عبد الحميد :٤ / ٢٨٦) ، وعَنْ أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» (أخرجه البخاري ومسلم)

ويقول ابن تيمية ﷺ: (وَالْحق الَّذِي يجب اعْتِقَاده أَن الله سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أرسل رَسُوله رَحْمَة لِلْعَالمين، وأن إِرْسَال الرُّسُل وإنزال الْكتب رَحْمَة عَامَّة لِلْخلقِ أعظم من إِنْزَال الْمَطَر وإطلاع الْبذر، وَإِن يحصل بِهَذِهِ الرَّحْمَة ضَرَر لبَعض النُّفُوس) (جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم :٢ / ٣٦٩) ، وفي الأثر:

(إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ: أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ سِوَايَ، خَيْرِي إِلَى الْعِبَادِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُمْ إِلَيَّ صَاعِدٌ، أَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِنِعَمِي، وَأَنَا الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَيَتَبَغَّضُونَ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي، وَهُمْ أَفْقَرُ شَيْءٍ إِلَيَّ ، يُبَارِزُونَنِي بِالْعَظَائِمِ، وَأَنَا أَكْلَؤُهُمْ عَلَى فُرُشِهِمْ..مَنْ أَقْبَلَ إِلَيَّ تَلَقَّيْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي نَادَيْتُهُ مِنْ قَرِيبٍ، وَمَنْ تَرَكَ لِأَجْلِي أَعْطَيْتُهُ فَوْقَ الْمَزِيدِ، وَمَنْ أَرَادَ رِضَايَ أَرَدْتُ مَا يُرِيدُ، وَمَنْ تَصَرَّفَ بِحَوْلِي وَقُوَّتِي أَلَنْتُ لَهُ الْحَدِيدَ ، أَشْكُرُ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ، وَأَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ، رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وَحِلْمِي سَبَقَ مُؤَاخَذَتِي، وَعَفْوِي سَبَقَ عُقُوبَتِي، أَنَا أَرْحَمُ بِعِبَادِي مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا. أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أُقَنِّطُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي، إِنْ تَابُوا إِلَيَّ فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، فَإِنِّي أُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَأُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَيَّ فَأَنَا طَبِيبُهُمْ، أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ، لِأُطَهِّرَهُمْ مِنَ الْمَعَايِبِ، مَنْ آثَرَنِي عَلَى سِوَايَ آثَرْتُهُ عَلَى سِوَاهُ، الْحَسَنَةُ عِنْدِي بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَالسَّيِّئَةُ عِنْدِي بِوَاحِدَةٍ، فَإِنْ نَدِمَ عَلَيْهَا وَاسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُهَا لَهُ) (مدارج السالكين :١ / ٢١١)

– وقال أحمد شوقي عن خاتم المرسلين:

وإذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ ... هَذانِ في الدُنيا هُما الرُحَماءُ
وَإِذا عَفَوتَ فَقادِراً وَمُقَدَّراً ... لا يَستَهينُ بِعَفوِكَ الجُهَلاءُ
ساقي الجَريحِ وَمُطعِمُ الأَسرى وَمَن ... أَمِنَت سَنابِكَ خَيلِهِ الأَشلاءُ

قيمة المساواة

الناس في أصل الخلقة سواء، وعلى هذا الأصل تتنزل أحكام الله ويتساوى الجميع في الحقوق والواجبات، فالمساواة هي الأصل الذي ينظر بها الإسلام إلى الناس، والمعيار الذي يحكم به ما تماثلت أحوالهم وأعمالهم، ولا يُفاضل بينهم إلا بمقدار ما يتفاضلون في الأعمال والإحسان فيها، فمن كان الأنفع للناس كان الأحق بالتقدم عليهم، ومن كان الأتقى كان الأكرم عند الله، ومن كان الأضعف وجبت مراعاته بقدر ضعفه، فإن تساوت أعمالهم تساوت أقدارهم، وإن تماثلت أحوالهم وجب أن تتماثل معاملتهم، فالمساواة أصلٌ عند التماثل، والعدل ميزانٌ عند التباين، والإحسان زيادةٌ عند التفاضل.

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] قال الإمام ابن عطية في تفسيره: وقصد هذه الآية التسوية بين الناس. (المحرر الوجيز) ، **وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] (أي قل – يأيها النبي – للناس: إني مرسل من اللَّه إليكم جميعًا، لا فرق بين عربي وعجمي وأسود وأبيض)** (المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢٣٢) ، **وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) [المائدة٤٥]، وقال تعالى لنبيه محمدﷺ: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [فصلت: ٦]، وعن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه **قال، قال رسول الله ﷺ: « أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى).** (المعجم الأوسط :٥ /٨٦ رقم٤٧٤٩)، (صححه الألباني السلسلة الصحيحة :٦/٢٠٣رقم٢٧٠٠)، **وعَنِ ابن عباس** رضي الله عنهما **سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»** (صحيح البخاري :٤ / ١٦٧) ، **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **عن النبي ﷺ قال: (الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُرَدُّ عَلَى أَقْصَاهُمْ)** (سنن ابن ماجه :٢/٨٩٥رقم ٢٦٨٣) ، (إرواء الغليل :٧/٢٦٥رقم٢٢٠٨)

وسَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ، أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، .. مَا يُحَرِّمُ دَمَ العَبْدِ وَمَالَهُ؟ فَقَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ المُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى المُسْلِمِ» (البخاري: ١ / ٨٧) ، **وعَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ،**

وَعَلَى عبده حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (صحيح البخاري :١ / ١٥)

وعن عائشة ﵂: أن قريشاً أهمهم شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يُكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حبَّ رسول الله ﷺ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ: «أتَشفعُ في حدٍّ من حدودِ الله »، ثم قام فاختطب ثم قال: « إنما أهلكَ الذين قبلَكُم أنهم كانوا إذا سَرقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سَرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وأيم الله لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سرقتْ لقطعتُ يَدها» (الجامع الصحيح :٣/ ١٢٨٢رقم ٣٢٨٨)، (صحيح مسلم :٣/ ١٣١١رقم ١٦٨٨)

يقول الدكتور محمد فهمي علي أبو الصفا: (فهو بحق يحقق العدل والمساواة بين الناس كلهم لأنه ينظر إلى الناس جميعًا نظرة المساواة في الخضوع لأحكامه وفي المؤاخذة على مخالفتها، لا فرق بين حاكم ومحكوم، ولا بين غني وفقير، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين أبيض وأسود. فلا يُعفى شخصٌ من المؤاخذة بماله من جاه وسلطان). (التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان: ١١٠) ، وعن النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ﵄، أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ، سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺعَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ» (متفق عليه) ، قال الإمام البغوي: والمرادُ من الْجور هُوَ العدولُ عَنِ التَّسْوِيَة. (شرح السنة للبغوي :٨ / ٢٩٧)

وكتب عمر ﵁ إلى أبي موسى الأشعري ﵁: (أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آسِ الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف). (إعلام الموقعين :٨٦/١)، وفي وصايا الخليفة علي ﵁ للأشتر النخعي حين ولاه على مصر: (اعلم يا مالك أني وجهتك إلى بلاد قد

جرت عليها دول من قبلك من عدل وجور، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم.. ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) . (مجلة المنار: ٣٥ / ٣٠٢) ، وكان عمر ﷺ إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: (لا أعلمن أحدًا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة). (تاريخ الخلفاء : ١٢٤)

– وعن الليث قال: (لما ولي عمر بن عبد العزيز بدأ بلحمته وأهل بيته فأخذ ما بأيديهم وسمَّى أموالهم مظالم). (تاريخ الخلفاء :٢٠١)، وفي معركة اليرموك دخل في جيش المسلمين رجل عربي من أتباع الروم لا ينكر فأقام في المسلمين يومًا وليلة، ثم أتى الروم فقيل له: ما وراءك، قال: (بالليل رهبان وبالنهار فرسان ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، لإقامة الحق فيهم)، فقال قائد الروم: (لئن كنت صدقتني، لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي). (تاريخ الأمم والملوك :٢ / ٣٤٧)

ويقول الإمام عبد الوهاب خلاف ﷺ: (المساواة شعار من أظهر شعائر الإسلام، ونصوصه وأحكامه ناطقة بتقريرها على أكمل وجوهها .. ففي الحج كلهم بلباسٍ واحد عُراة الرؤوس لا يلبسون مخيطًا، وفي الصلاة كلهم في صفوفٍ متساوية، وفي التناصح للوضيع على الرفيع ما للرفيع على الوضيع، وفي الجنايات النفس بالنفس والعين بالعين والجروح قصاص، وقد كانت هذه المساواة في صدر الإسلام شعار المسلمين في حربهم وسلمهم). (السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية :ص: ٤٧) ، ويقول القاضي حسين بن محمد المهدي: (كان الإنسان موزعاً بين قبائل وأمم، وطبقات بعضها دون بعض، وقوميات ضيقة، وكان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتًا هائلًا كتفاوت ما بين الإنسان والحيوان، وبين الحر والعبد، وبين العابد والمعبود، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقًا، فأعلن النبي ﷺ بعد قرون طويلة من الصمت المطبق، والظلام السائد، وذلك الإعلان الثائر، المدهش للعقول، القالب للأوضاع: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد،كلكم لآدم .. » الحديث ، وهذا الإعلان يتضمن إعلانين هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام، وعليهما قام السلام في كل زمان ومكان وهما: وحدة الربوبية، ووحدة البشرية، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين: الجهة الأولى –وهي الأساس– أن الرب واحد، والجهة الثانية أن الأب واحد) (صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال :١ / ٨٧)

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في مدح الرسول ﷺ:

فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبادِ حُكومَةً ... لا سوقَةٌ فيها وَلا أُمَراءُ
اللَهُ فَوقَ الخَلقِ فيها وَحدَهُ ... وَالناسُ تَحتَ لِوائِها أَكفاءُ

ومن روائع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

الناسُ مِن جِهَةِ التِمثالِ أكفاءُ ... أَبوهُمُ آدَمُ وَالأُمُ حَوّاءُ
نَفسٌ كَنَفسٍ وَأَرواحٌ مُشاكَلَةٌ ... وَأَعظُمٍ خُلِقَت فيها وَأَعضاءُ
فَإِن يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَرَفٌ ... يُفاخِرونَ بِهِ فَالطينُ وَالماءُ
وَقَدرُ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يُحسِنُهُ ... وَلِلرِجالِ عَلى الأَفعالِ اسماءُ

قيمة الحرية

الحرية بمفهومها الواسع المتضمن لحق الرأي والاختيار هي معنى الوجود الإنساني وشرط الإبداع والتكليف، وضرورة العباد للقيام بدور الاستخلاف وعمارة الأرض، وعلى قدر الانتقاص من حرية الإنسان في أي مجال من مجالات الحياة على قدر الانتقاص من وجوده وتأثيره ونفعه للناس، فقد ولد الناس أحرارًا في أبدانهم وأفكارهم واختياراتهم ولا يحاسبهم على ذلك إلا الله، ولا يتدخل سلطان الدولة والقانون إلا بمقدار ما يسطو الإنسان بحريته على حق سواه في دمه وماله وعرضه، أو تطغى حرية الفرد على مصالح المجتمع، وهي في الغالب لا تكون إلا من سلطانٍ غاشم يستبد برأيه على الخلق ويتأله عليهم، فالاستبداد نقيض الحرية وداءها، والحرية عدوه ولقاحه، والعدل ميزانها الذي تصح به.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] يقول الإمام السعدي ﷺ: (يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرُّشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، ..، والمكره ليس إيمانه صحيحًا) (تيسير الكريم الرحمن: ١١١) ، **وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، يقول الشيخ الشعراوي ﷺ : (شاء الله سبحانه أن يجعل الإنسان مختارًا... ومن هنا فإن له الاختيار في أن يؤمن أو لا يؤمن... أن ينصر الحق أو ينصر الباطل...أن يفعل الخير أو يفعل الشر...كل هذه اختبارات شاء الله أن يعطيها للإنسان في الدنيا بحيث يستطيع أن يفعل أو لا يفعل... ففي الحياة الدنيا كل واحد يختار الوجهة التي يتجه إليها،...والذي يهديه الله يتجه إلى الخيرات وكأنه يتسابق إليها).** (تفسير الشعراوي :١ / ٦٣٨) ، **وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، وفي تحرير الإنسان قالَ النَّبِيّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»** (صحيح البخاري :٣ / ٨٣) ، **وَفي حرية اختيار الزوج وردَ عَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ»** رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ ، (نيل الأوطار :٦ / ١٤٤) .

قال الإمام الشوكاني ﷺ: (وَقَدْ اُسْتُدِلَّ بِأَحَادِيثِ الْبَابِ عَلَى اعْتِبَارِ الرِّضَا مِنْ الْمَرْأَةِ الَّتِي

يُرَادُ تَزْوِيجُهَا، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ صَرِيحِ الْإِذْنِ مِنَ الثَّيِّبِ وَيَكْفِي السُّكُوتُ مِنَ الْبِكْرِ؛) (نيل الأوطار :٦ / ١٤٤)

وفي حرية ممارسة الشعائر، وردَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالعِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» متفق عليه، وعَنِ ابن عباس ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَجَاوَزَ اللهُ لِي عَنْ أُمَّتِي، الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أُكْرِهَ عَلَى طَلَاقٍ، أَوْ نِكَاحٍ، أَوْ يَمِينٍ، أَوْ إِعْتَاقٍ،أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَتَّى فَعَلَهُ مُكْرَهًا، أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِيمَا تَجَاوَزَ اللهُ فِيهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنْ أُمَّتِهِ . (شرح معاني الآثار :٣ / ٩٥)، وفي عدوان ولد عمرو بن العاص على القبطي كانت مقولة عمر بن الخطاب ﷺ: (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟)

(محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ :٢ / ٤٧٣)

وورد في حرية النقد، عن الحسن قال: "كان بين عمر بن الخطاب ﷺ وبين رجل كلام في شيء، فقال له رجل: "(اتّق الله يا أمير المؤمنين)، فقال له رجل من القوم: (أتقول لأمير المؤمنين: اتّق الله؟)، فقال له عمر ﷺ: (دعه فليقلها لي ، نعم، ما قال)، ثم قال عمر: (لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم). (محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: ٢ / ٦٠١)

وفي حرية التنقل، ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ﷺ ، قَالَ: (اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا بِخَمْسِ أَوَاقٍ فَأَعْتَقَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ تَجَهَّزَ بِلَالٌ لِيَخْرُجَ إِلَى الشَّامِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَا كُنْتُ أَرَاكَ يَا بِلَالُ أَنْ تَدَعَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، لَوْ أَقَمْتَ مَعَنَا فَأَعَنْتَنَا، قَالَ: إِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لِلَّهِ فَدَعْنِي أَذْهَبُ وَأَعْمَلُ لِلَّهِ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَعْتَقْتَنِي لِنَفْسِكَ، وَلِتَتَّخِذَنِي خَازِنًا فَاحْبِسْنِي عِنْدَكَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْتَقْتُكَ لِلَّهِ فَاذْهَبْ فَاعْمَلْ لِلَّهِ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ بِهَا). (سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني: ٢٨٧)

وفي حرية الاجتهاد، ورد عَنْ عُمَرَ ﷺ: " أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: قَضَى عَلِيٌّ وَزَيْدٌ بِكَذَا، قَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَقَضَيْتُ بِكَذَا، قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكَ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَرُدُّكَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ إِلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ لَفَعَلْتُ وَلَكِنِّي أَرُدُّكَ إِلَى رَأْيِي، وَالرَّأْيُ مُشْتَرَكٌ قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَلَمْ يَنْقُضْ مَا قَالَ عَلِيٌّ وَزَيْدٌ ، وَهُوَ يَرَى خِلَافَ مَا ذَهَبَا إِلَيْهِ وهَذَا كَثِيرٌ لَا يُحْصَى". (جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٨٥٤)

وفي تحرير الرقاب، يقول محمد توفيق صدقي ﷺ : (قُضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضًا من قديم الأزمان ..وعوامل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب ..وأتى الإسلام فرقَّ لحالهم كما كان شأنه لجميع الضعفاء، ومنع الاسترقاق بتاتًا ..، وبهذه القاعدة سدَّ أكثر ينابيعه وغلق أبواب الظلم والعدوان، بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الإنسان مخالفًا للدين، حتى في أبسط المسائل كالحنث في الأيمان، وليس هذا فقط، بل أمر بجمع الأموال (الزكاة) من الأغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب وكرر حث ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة) (مجلة المنار: ٨ / ٧٢١)

ويقول محمد سيف العديني: (ترتبط قدرة الإنسان على الإبداع والاختراع والعمران بمقدار ما يتمتع به من حرية، فمن مقتضيات الخلافة والقيام بها على الوجه المقصود من الشارع يقتضي استخدام ممكنات العقل والملكات الإنسانية في تطوير الوسائل والأساليب التي تحقق أقصى غايات الإتقان والإحسان في العمل، وهذا يقوم على إطلاق العنان للإنساني في التفكير والتدبر والبحث في سنن الكون ونواميسه من أجل الإكتشاف والتسخير، ويقوم على إطلاق العنان للمنافسة بين العقول البشرية عبر الأجيال من أجل التسابق إلى الاستحواذ والحكمة وقطف ثمار الجهد البشري المتراكم في التطوير والتحسين وحسن الأداء .. والقدرة على التقويم وتعزيز التجارب الناجحة .. وهذا لا يتم إلا بالحرية الإنسانية الواسعة التي توفر انطلاق العقل والإرادة في مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاقتصادية على مستوى الفرد والجماعة) (الحرية في الإسلام :٤٣)، **لا معنى لوجود الإنسان في الحياة بغير هوية تميزه عن الآخرين، فإكراه الناس –أفراداً أو جماعات– على تبني قناعات أو اعتقادات لا يؤمنون بها – أيًا كان لونها– أشبه بإبادة جماعية بل أشد، ولذا كانت الأنظمة الشمولية أقبح أنواع الاستبداد، لأنها تلغي كيان الشعوب، وتحملهم على رأي واحد، رافضة كل رأي آخر مهما كانت وجاهته.**

ويقول الشاعر أحمد محرم:

مُدّوا السَواعِدَ وَارفَعوا الأَبصارا ... لِمَ لا نَعيشُ أَعِزَّةً أَحرارا
مَن ذا أَتاحَ لَنا الجُمودَ وَمَن قَضى ... أَنّا نَضلُّ مُكَبَّلينَ أَسارى
إِنَّ الَّذي خَلَقَ النُفوسَ حَرائِراً ... فَكَّ الشُعوبَ وَحَرَّرَ الأَقطارا
اليَومَ يَطلُبُ كُلُّ شَعبٍ حَقَّهُ ... لا خائِفاً وَجِلاً وَلا خَوّارا
اطلُب لَنا عِزَّ الحَياةِ فَإِنَّنا ... لا نَستَطيعُ عَلى الهَوانِ قَرارا

قيمة الأمانة

أداء الأمانة قرين العدل وغايته والحمل الثقيل الذي لا يقوم به إلا من جمع بين العلم والعدل، فبالعلم والعدل تُعرف الأمانة وتوضع في مواضعها وتؤدَّى حق أداءها، وهي شاملة لكل ما كُلفنا به من حق الله أو حقوق العباد، فكلما زاد حظ الإنسان من الدنيا أو علا مقامه بين الناس أو ارتقى بينهم في الجاه أو المال أو السلطان أو العلم كلما ازداد حمله من الأمانة، وهي قرينة الإيمان وجسر الثقة بين المتعاملين، فكلما عمت الأمانة زاد معها الأمان بين الناس فاتسعت التعاملات بينهم، وازدهرت حياتهم، وتوسع نصيبهم من الرخاء والعمران، فلا أمان ولا إيمان بدون أمانة، وكلما عمَّ في الناس تضييع الأمانة كلما آذن الله بزوال دولتهم وقرب ساعتهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ [النساء : ٥٨]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب : ٧٢]، وجعل الله من صفات المؤمنين: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون : ٨]، وأكدَ الوفاء بها فقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٣]، وحذر من الخيانة فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وحكى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]

قال الزمخشري ﷺ : (كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعنى الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٣ / ٤٠٣) ، وحكى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٦]، يقول الإمام الشوكاني ﷺ: (مكينٌ أمينٌ، أي ذُو مَكَانَةٍ وَأَمَانَةٍ بِحَيْثُ يَتَمَكَّنُ مِمَّا يُرِيدُهُ مِنَ الْمَلِكِ وَيَأْمَنُهُ الْمَلِكُ عَلَى مَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ عَلَى مَا يَكِلُهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ.. حفِيظٌ لِمَا جَعَلْتَهُ إِلَيَّ مِنْ حِفْظِ الْأَمْوَالِ لَا أُخْرِجُهَا فِي غَيْرِ مَخَارِجِهَا، وَلَا أَصْرِفُهَا فِي غَيْرِ مَصَارِفِهَا عَلِيمٌ بِوُجُودِ جَمْعِهَا وَتَفْرِيقِهَا وَمَدْخَلِهَا وَمَخْرَجِهَا) (فتح القدير للشوكاني :٣ / ٤٣)

وعَنْ أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (سنن أبي داود وصححه الألباني :٣ / ٢٩٠) ، يقول ابن الأمير ﷺ : (وَقَوْله «وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَك» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُجَازِي بِالْإِسَاءَةِ مَنْ أَسَاءَ وَحَمَلَهُ الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ لِدَلَالَةِ قَوْله تَعَالَى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] (سبل السلام: ٢ / ٩٧)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (حديث حسن مسند أحمد شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد وآخرون: ١٩ / ٣٧٦) ، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ﷺ، أَخْبَرَهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ، أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: «أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ» ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ (صحيح البخاري :٣ / ١٨٠) ، وعَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ:«إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (البخاري :١ / ٢١) ، وذكر مالك أنه بلغه أنه قيل للقمان: "ما بلغ بك ما نرى من الفضل" فقال: "صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني" (شرح الأربعين النووي لابن دقيق العيد: ٦٢)

يقول الشيخ وهبة الزحيلي ﷺ: (فأداء الأمانة والوفاء بالعهد صفة أهل الإيمان ، أما الخيانة والغدر وخلف الوعد وعدم الوفاء بمقتضى العقد بيعًا أو إجارة أو شركة أو غيرها، فهي صفة أهل النفاق الذين قال فيهم رسول الله ﷺ فيما يرويه الشيخان والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»، والأمانة والعهد يشملان جميع ما ائتمن الإنسان عليه من ربه أو من الناس، كالتكاليف الشرعية، والودائع، وتنفيذ العقود ، ورعايتها يكون بحفظها وإصلاحها). (التفسير المنير للزحيلي (بتصرف): ١٨ / ١٣) ، ويقول الإمام القرطبي ﷺ: (وَالْأَمَانَةُ وَالْعَهْدُ يَجْمَعُ كُلَّ مَا يَحْمِلُهُ الإنسان من أمر دينه ودنياه قولا فعلا. وَهَذَا يَعُمُّ مُعَاشَرَةَ النَّاسِ وَالْمَوَاعِيدَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَغَايَةُ ذَلِكَ حِفْظُهُ وَالْقِيَامُ بِهِ). (تفسير القرطبي :١٢ / ١٠٧)

وحين أعترض أحد الملاحدة على حد السرقة فقال:

يدٌ بِخمْس مِئينَ عَسجدٍ وُدِيَتْ مَا بالُهَا قُطعتْ فِي رُبعِ دِينارِ
تَحكُّمٌ مَا لنا إِلَّا السَّكوتُ لهُ ونستعيذ بِمولانا منَ النَّار

فَأَجَابَهُ علم الدّين السخاوي بقوله :

عِزُّ الأمانةِ أغْلاها وَأرْخصها ذُلُّ الخِيانةِ فافْهمْ حِكمةَ الْباري

وقال آخر:

أَدِّ الأَمانَةَ وَالخيانَةَ فَاجتَنِب وَاِعدِل وَلا تَظلِم يَطيبُ المَكسَبُ

وقال أحمد شوقي في وصف الحبيب ﷺ :

بِسِوى الأَمانَةِ في الصِبا وَالصِدقِ لَم يَعرِفهُ أَهلُ الصِدقِ وَالأُمَناءُ

قيمة الوسطية

الوسطية والاعتدال صفة الكتاب الخاتم الهادي لأقوم الطرق، وأفضل السُّبل لعزة هذه الأمة وتَصدُّرها، كما أنها صفة هذه الأمة التي بها تنال مكانة الشهود على الخلق في سائر الأمم، وهي صمام أمان من الغلو المودي إلى الهلاك، وهي صفة تشمل الأفكار والأقوال والسلوك، والوسطية قرينة العدل والميزان، فالأمة الوسط هي الأمة التي تزن كل شيء بميزان دقيق فلا يطغي فيها شيءٌ على آخر، والميزان الذي تزن به هو العقل المتشبع بقيم الشرع، والمستعين بالشورى، والذي يوازن بين حق الله وحقوق العباد، و بين حاجات القلب وحاجات البدن، وبين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، وبين حظ العبد من الدنيا وبغيته للآخرة.

قال تعالى عن صفة هذه الأمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، قال الإمام البغوي: (أي أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين). (معالم التنزيل للبغوي :١ /١٥٨)، **وقال الله تعالى في غاية القرآن: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] قال الإمام الطبري ﷺ: (أي للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل).** (تفسير الطبري :٨ /٤٣)، **وقال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:٢٨]، قال القرطبي ﷺ: (أوسطهم أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم)** الجامع لأحكام القرآن ج١٨/ ٢١٤، **وقال البيضاوي: (أوسطهم رأيًا أو سنًا).** (تفسير البيضاوي :٣٧٣)، **وقال تعالى في أداء الصلاة: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:١١٠]، والسبيل : الطريق الوسط.** (تفسير الزمخشري)، **وقال تعالى في إنفاق الأموال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] وقوامًا: أي قصدًا وسطًا بين الإسراف والإقتار.** (معالم التنزيل :٩٤)، **وقال تعالى في سلوك المؤمن: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ: أي توسط فيه بين الدبيب والإسراع.** (تفسير البيضاوي :٤ / ٢١٥) ، **وقال تعالى عن موقف المؤمن من الدنيا والآخرة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، ومن دعاء المؤمنين قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧)﴾ [الفاتحة: ١-٧]، ومن دعائهم ـأيضًاـ: ﴿وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ**

النّـارِ﴾ [البقرة:٢٠١]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : دخل علي رسول الله ﷺ فقال: « ألمْ أُخَبر أنك تقومُ الليلَ وتصومُ النَّهار»، قلت: بلى، قال « فلا تَفعلْ قُمْ ونَمْ، وصُمْ وأفطُر، فإن لجسدكَ عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزَورك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإنك عسى أن يطول بكَ العمُر، وإن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن بكل حسنةٍ عشر أمثالها، فذلك الدهر كله ». (الجامع الصحيح المختصر: ٥)، وعن مقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ – سنن الترمذي ت. شاكر :٤ / ٥٩٠)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون قالها ثلاثًا) رواه مسلم، قال الإمام النووي رحمه الله: (أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم) (المنهاج: ١٦ /٢٢٠)

وقال ابن القيم رحمه الله: (وما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريطٍ وإضاعة، وإما إلى إفراطٍ وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيعٌ له، فالغالي فيه مضيعٌ له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد، وقد نهى الله عن الغلو بقوله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة:٧٧]. (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ٢/ ٤٩٦)، ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: (فإن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم، والأمة الوسط عرفوا مقاديرهم؛ فلم يغلوا فيهم غلو النصارى، ولم يجفوا عنهم جفاء اليهود، ولهذا قال ﷺ فيما صحَّ عنه: « لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ») (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم :٢ / ١٩٣) ، ويقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله: (فأمة الإسلام وسطٌ بين الأمم، وسطٌ بين من غلا في الدين وتشدد فيه فشدد الله عليهم، وبين من تساهل وجفا فضلوا عن سواء الصراط، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين أهل النِّحل، كما أن أهل الإسلام وسطٌ بين أهل الملل). (مجلة البحوث الإسلامية :٦٩ / ٣٥) ، ويقول سيد قطب رحمه الله: (إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعًا، فتقيم فيهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتزن قيمهم، وتصوراتهم وتقاليدهم، وشعاراتهم. فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حقٌ، وهذا باطلٌ ، وهي شهيدةٌ على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم، وبهذا تتحقق حقيقة هذه الأمة،

ووظيفتها، لتعرف وتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعدادًا لائقًا، وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط. سواءٌ من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي) (في ظلال القرآن :١ / ١٣١).

وقال الشاعر(المفتي فتح الله):

خَيرُ الأمُورِ إذا حقّقت أَوسَطُها فَخَلِّ عَنكِ كَذي التفريطِ مفرطَها
وَكَيفَ وَالصَّادقُ المَصدوقُ قالَ بِهِ وَالشَّمسُ حَلَّت مِنَ الأَفلاكِ أَوسطَها

وقال الشاعر جميل صدقي الزهاوي :

إنَّ اعتدالك في الأمور لمصلحٌ مـــا أَفســد الإفــراطُ وَالتَفريـــطُ

القسم الثاني
قيم الإستخلاف في الأرض
(البناء المجتمعي)

قيمة الاستقرار الاجتماعي

الاستخلاف في الأرض إحدى الغايات الكبرى لخلق الإنسان، وغاية الاستخلاف الأولى بناء المجتمع وتماسكه، ولذا كانت أولى مهام الاستخلاف تحقيق الاستقرار الاجتماعي بتسوية النزاعات، وردم بؤر الصراعات، وإطفاء نار الحروب الأهلية، ابتداءً من العلاقات الأسرية ومرورًا بالعلاقة بين أفراد المجتمع في شتى مجالات الحياة ثم الطوائف والمكونات الفاعلة والمؤثرة وعلى رأسها المكونات السياسية والاجتماعية والدينية، فإذا تحقق الاستقرار بهذا المفهوم، ثم بمفهومه الأوسع الذي تدور عليه كل قيم الاستخلاف من الأخوة، والتعايش، والتعاون، والعدالة الاجتماعية، والجنوح للسلم .. إلخ صار المجتمع قادرًا على القيام بدور التنمية والإصلاح الشامل وصولًا إلى الرخاء المنشود، ولذا كان إصلاح ذات البين واجبًا اجتماعيًا وفرضًا لازمًا على كل مؤمن ومؤمنة.

قال تعالى في عموم الإصلاح بين الناس: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى في خلاف طوائف المؤمنين: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، وقال تعالى في خلاف الزوجين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥، ٣٦]

وقال تعالى في النشوز: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، يقول الإمام النسفي ﷺ: (النشوز أن يتجافى الزوج عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وأن يؤذيها بسبب أو ضرب، أَوْ إِعْرَاضًا عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح) (مدارك التنزيل وحقائق التأويل :١ / ٤٠١) ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٤]

قال الإمام الرازي ﷺ: (وَسَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَحْلِفُ عَلَى تَرْكِ الْخَيْرَاتِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، أَوْ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، أَوْ إِحْسَانٍ إِلَى أَحَدِ أَدْعِيَائِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَحْنَثَ فِي يَمِينِي فَيَتْرُكُ الْبِرَّ إِرَادَةَ الْبِرِّ فِي يَمِينِهِ فَقِيلَ: لَا تَجْعَلُوا ذِكْرَ اللَّهِ مَانِعًا بِسَبَبِ هَذِهِ الْأَيْمَانِ عَنْ فِعْلِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى هَذَا أَجْوَدُ مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ). (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير :٦ / ٤٢٥) ، وعنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أنه قَالَ: (الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا صُلْحًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا) (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ – سنن الترمذي ت شاكر :٣ / ٦٢٧) ، وعن أبي هريرة ﷺ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ» قَالَ: (تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ..) (صحيح مسلم :٢ / ٦٩٩) .، قال الإمام النووي ﷺ: (ومعنى تَعْدِلُ بَيْنَهُمَا: أي "تُصْلِحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) (رياض الصالحين، ت. ماهر الفحل: ٨٨) ، وعَنْ كَعْب بن مالك، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا» وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُمْ فَاقْضِهِ»

قال الإمام ابن الجوزي ﷺ (والسجف: السّتْر ، وَالَّذِي أمره بِهِ رَسُول الله ﷺ على سَبِيل المشورة، وَهَذَا يدل على أَن للْحَاكِم أَن يُرَاوِد الْخَصْمَيْنِ على الصُّلْح إِذا رأى وَجه الْمصلحَة، كَمَا يفصل الحكم بَينهمَا.) (كشف المشكل من حديث الصحيحين :٢ / ١٢١) ، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» (صححه الألباني – سنن أبي داود :٤ / ٢٨٠) ، قال المهلب: (الصلح خير في كل شيء من التمادي على الخلاف والشحناء والبغضاء التي هي قواعد الشر، والصلح وإن كان فيه صبرٌ مؤلم فعاقبته جميلة، وأمرٌ منه وشر عاقبة العداوة والبغضاء، وقد قال ﷺ في البغضة إنها الحالقة يعني: حالقة الدين لا حالقة الشعر)، (شرح صحيح البخاري لابن بطال :٨ / ٨٥) ، وعن أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عُقْبَةَ بن أَبي مُعَيْطٍ ﷺ قَالَتْ: سمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: « يْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمي خَيْراً، أَوْ يَقُولُ خَيْراً» "مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. ، قال حجة الإسلام الغزالي ﷺ: (وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ تَرْكَ الْكَذِبِ وَاجِبٌ وَلَا يَسْقُطُ الْوَاجِبُ إِلَّا بِوَاجِبٍ آكد منه) (إحياء علوم الدين :٢ / ١٩٩) ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه ﷺ (أنّ رسول الله ﷺ كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار على أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين) (رواه أحمد ،وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند : إسناده صحيح ١١/ ١٢٥، ح ٦٩٠٤)، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخطاب

ﷺ رُدُّوا الْقَضَاءَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، فَإِنَّ فَصْلَ الْقَضَاءِ يُورِثُ الضَّغَائِنَ). (معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام: ١٢٣)

جَاءَ فِي " الْبَدَائِعِ ": (وَلاَ بَأْسَ أَنْ يَرُدَّ الْقَاضِي الْخُصُومَ إِلَى الصُّلْحِ إِنْ طَمِعَ مِنْهُمْ ذَلِكَ، قَال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ فَكَانَ الرَّدُّ لِلصُّلْحِ رَدًّا لِلْخَيْرِ، وَقَال عُمَرُ بْنُ الخطاب ـرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: " رُدُّوا الْخُصُومَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، فَإِنَّ فَصْل الْقَضَاءِ يُورِثُ بَيْنَهُمُ الضَّغَائِنَ ". فَنَدَبَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – الْقُضَاةَ إِلَى الصُّلْحِ وَنَبَّهَ عَلَى الْمَعْنَى، وَهُوَ حُصُول الْمَقْصُودِ مِنْ غَيْرِ ضَغِينَةٍ). (الموسوعة الفقهية الكويتية :٢٧ / ٣٢٧)

ويقول الدكتور وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ﷺ: (ويكون الصلح بين مسلمين وأهل حرب بعقد الذمة أو الهدنة أو الأمان، وبين أهل بغي وأهل عدل، وبين زوجين إذا خيف الشقاق بينهما، أو خافت المرأة إعراض زوجها عنها، وبين متخاصمين في غير مال، وبين متخاصمين في المال) (الفقه الإسلامي وأدلته: ٦ / ١٧٠، بترقيم الشاملة آليًا)

قال الأمير الصنعاني ﷺ:

وذكرتَ أنَّ الصلحَ تَرضاهُ إذا ... تَركَ الهوى ذو الجورِ والإسرافِ
وأُزيل من ظلم الرعايا كُلما ... هو للشريعة والعقول منافِ

قيمة البر

إذا تحقق الاستقرار وانطفأت حرائق النزاع، كان لا بد لدوران عجلة الاستخلاف في الأرض وبناء المجتمع أن تشيع ثقافة العمل الطوعي فتدفع المجتمع للتسابق في أداء الخدمات، فتنشأ المبادرات المثمرة من كل الفئات والطبقات، وفي كل وجوه الخير التي تسرع عملية التنمية، وتغطي سائر الاحتياجات ابتداءً بالضروريات فالحاجيات فالكماليات، وتمثل هذه القيمة الرافد لدور سلطات الدولة في البناء والتنمية، وهي تشمل الأدوار الإغاثية والتنموية، والأدوار القائمة على بذل الجهود، والقائمة على بذل الأموال، والقائمة على بذل المعارف.

قال تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١]، وحكى عن زكريا وأهل بيته: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ [الماعون: ١-٧]، ومعنى يمنعون الماعون، (أي يمنعون الإعارة وفعل الخير. والماعون: كل ما يتعاوره الناس بينهم، من الدلو والفأس والقدوم والقدر ومتاع البيت، وما لا يمنع عادة كالماء والملح، مما ينسب مانعة إلى الخسة ولؤم الطبع وسوء الخلق ، وعن عبد الله بن مسعود قال: كل معروف صدقة، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عارية الدّلو والقدر). (التفسير الوسيط للزحيلي: ٣ / ٢٩٤٢)

يقول الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي ﷺ: (إن هذه السورة الكريمة تصلح عنواناً بارزاً لكل أنواع التكامل والتضامن الاجتماعي فيما بين الناس، حتى تسود المحبة والود، ويتآلف البشر، ويعم الرفاه والاستقرار أنحاء المجتمع، وتعيش كل جماعة في أمن وعافية وسلام) . (التفسير الوسيط للزحيلي: ٣ / ٢٩٤٢) ، **وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ**

مَـنْ آمَـنَ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَالْمَلَائِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّيـنَ وَآتَـى الْمَـالَ عَلَـى حُبِّـهِ ذَوِي الْقُـرْبَى وَالْيَتَامَـى وَالْمَسَـاكِينَ وَابْـنَ السَّـبِيلِ وَالسَّـائِلِينَ وَفِي الرِّقَـابِ وَأَقَـامَ الصَّـلَاةَ وَآتَـى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُـونَ بِعَهْدِهِـمْ إِذَا عَاهَـدُوا وَالصَّابِرِيـنَ فِـي الْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ وَحِيـنَ الْبَـأْسِ أُولَئِـكَ الَّذِيـنَ صَدَقُـوا وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُتَّقُـونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، قال الراغب الأصفهاني ﷺ: (والبر: التوسع في أفعال الخير، بدلالة .. الآية ، فذكرت جملة أفعال الخير، فرائضها، ونوافلها، ومكارم الأخلاق كلها ، فالبر في ثلاث: بر في معاملة الله تعالى وعبادته، وبر في معاملة الأقارب ومراعاة حقوقهم، وبر في معاملة الأجانب وإنصافهم). (تفسير الراغب الأصفهاني: ١ / ١٧٤) ، وعنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: « لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾» (سنن الترمذي، ت. شاكر وصححه الألباني :٥ / ٣٢٧)

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، إِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» صححه الألباني، سنن الترمذي، ت. شاكر (٥ / ٣٦٧) ، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، ..، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، سنن الترمذي، ت. شاكر (٤ / ٣٤٠) ، وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، .. والْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» صحيح مسلم (٢ / ٦٩٩) ، وعن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ» أَوْ قَالَ: «بِالْمَعْرُوفِ» قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ» أخرجه البخاري ومسلم.

قال ابن رجب الحنبلي ﷺ: (وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ.» وَخَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ ، فَالصَّدَقَةُ تُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ،

حَتَّى إِنْ فَضَلَّ اللَّهِ الْوَاصِلَ مِنْهُ إِلَى عِبَادِهِ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ .. وَقَدْ «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ: صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ، ، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: إِنَّ اللَّهَ يَتَصَدَّقُ كُلَّ يَوْمٍ بِصَدَقَةٍ، وَمَا تَصَدَّقَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ بِشَيْءٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِذِكْرِهِ.

وَالصَّدَقَةُ بِغَيْرِ الْمَالِ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا فِيهِ تَعْدِيَةُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، فَيَكُونُ صَدَقَةً عَلَيْهِمْ، وَرُبَّمَا كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِالْمَالِ، وَهَذَا كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنَّهُ دُعَاءٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَكَفٌّ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ النَّفْعِ بِالْمَالِ، وَكَذَلِكَ تَعْلِيمُ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَإِقْرَاءُ الْقُرْآنِ، وَإِزَالَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالسَّعْيُ فِي جَلْبِ النَّفْعِ لِلنَّاسِ، وَدَفْعُ الْأَذَى عَنْهُمْ. وَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ لِلْمُسْلِمِينَ وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ. .. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: «مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، فَلْيَتَصَدَّقْ مِنْ مَالِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ قُوَّةٌ، فَلْيَتَصَدَّقْ مِنْ قُوَّتِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ، فَلْيَتَصَدَّقْ مِنْ عِلْمِهِ» جامع العلوم والحكم، ت. الأرناؤوط (٢ / ٥٩)

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسابق بعضهم بعضاً بالقربات، ولا يُؤْثِرُ الرجل منهم غيره بها. قال عمر رضي الله عنه: والله ما سابقني أبوبكر إلى خيرٍ إلا سبقني إليه.

وقال أبو العلاء المعري:

وَالناسُ بِالناسِ مِن حَضرٍ وَبادِيَةٍ ... بَعضٌ لِبَعضٍ وَإِن لَم يَشعُروا خَدَمُ
وَكُلُّ عُضوٍ لأَمرٍ ما يُمارِسُهُ ... لا مَشيَ لِلكَفِّ بَل تَمشي بِكَ القَدَمُ
فَإِذخَر لِنَفسِكَ خَيراً كَي تُسَرَّ بِهِ ... فَإِن فَعَلتَ وَإِلا عادَكَ النَدَمُ

قيمة التعاون

إذا شاعت في المجتمع ثقافة العمل الطوعي واستباق الخيرات؛ كان لزامًا لكي تتحقق كافة مصالحه الدنيوية والأخروية الفردية منها والجماعية أن تتظافر الجهود، ويتكاتف الأفراد، وتتكامل المهارات، وتجتمع القدرات على القيام بكل أنواع البر التي بها نفع الخلق ورفع الإثم والظلم عنهم، وكذا التواصي على أداء حقوق الله وإعلاء كلمة التوحيد، و التناصر على إحقاق الحق ودفع العدوان عن بلادهم، فغاية هذه القيمة تحويل الجهود الفردية المنطلقة من ثقافة البر وبذل المعروف إلى جهود مؤسسية منظمة تكون أقوى فاعلية وأوسع مدى وأشمل لضرورات الناس وقضاء احتياجاتهم .

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، قال حجة الإسلام الغزالي ﷺ: (وَهُوَ أَمْرُ جَزْمٍ وَمَعْنَى التَّعَاوُنِ الْحَثُّ عَلَيْهِ وَتَسْهِيلُ طُرُقِ الْخَيْرِ وَسَدُّ سُبُلِ الشَّرِّ وَالْعُدْوَانِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ) . (إحياء علوم الدين: ٢ / ٣٠٧) **، وقال ابن كثير ﷺ: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن التَّناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم).** (تطريز رياض الصالحين: ٨٥٠) **، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ٣]**

يقول المفكر محمد عزت دروزة ﷺ: (تعبير «التواصي» قوي لأنه للمشاركة. فلا يكفي أن يلتزم الإنسان الحق والصبر بنفسه، بل يجب أن يتضامن الناس فيهما ويوصي بعضهم بعضًا بهما ، والتواصي بالحق يستهدف تضامن أفراد المجتمع في الحق وإحقاقه، بحيث يكون الحق هو القائم الحاكم المؤيد من مجموعهم. والتواصي بالصبر يستهدف تضامن أفراد المجتمع في شد بعضهم أزر بعض في الأحداث الملمة والمصاعب المدلهمة وفي مواقف الحق والخير، دونما وهن ولا ضعف ولا جزع ولا تراخ). (التفسير الحديث: ١ / ٥٦٣)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة:٩]، قال الدكتور الصابوني ﷺ: (أي إذا تحدثتم فيما بينكم سرًا فلا تتحدثوا بما فيه إثم كالقبيح من القول، أو بما

هو عدوان على الغير، أو مخالفة ومعصية لأمر الرسول ﷺ ﴿وَتَنَاجَوْاْ﴾ أي وتحدثوا بما فيه خيرٌ وطاعة وإحسان) (صفوة التفاسير: ٣ / ٣١٩)

وحكى الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤)﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤]

قال الإمام البغوي ﷺ: (أي اجْعَلْ لِي مُعِينًا وَظَهِيرًا، مِنْ أَهْلِي فَالْوَزِيرُ مَنْ يؤازرك وَيُعِينُكَ وَيَتَحَمَّلُ عَنْكَ بَعْضَ ثِقَلِ عَمَلِكَ) (معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣ / ٢٦١) ، وحكى الله عن ذي القرنين في بناءه للسد : ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، يقول الشيخ إبراهيم القطان ﷺ: (أي إن لم تفعلوا ما شُرع لكم من ولاية بعضكم لبعض، ومن تناصرُكم وتعاونكم تجاه وَلاية الكفّار بعضُهم لبعض، يقع من المفتنة والفساد ما فيه أعظمُ الضرر عليكم، بتخاذلكم الذي يُفضي الى ظفر الاعداء بكم وسلبكم بلادكم. وهذا ما هو حاصل اليوم من تكتّل الأعداء ضدّنا، ونحن متمزقون في عدة دول وامارات، يحارب بعضنا بعضًا والعدو يسرح ويرتع في بلادنا). (تيسير التفسير للقطان: ٢ / ١١٧)

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. (رواه البخاري ومسلم)

قال الشيخ الحريملي النجدي ﷺ: (وفي هذا الحديث: الحضُّ على معاونة المؤمن ونصرته)، (تطريز رياض الصالحين: ١٧٣) ، وعَنْ أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ». قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي﴾ (شرح صحيح مسلم ت.محمد فؤاد عبد الباقي

:٤ / ١٩٨٦)، وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ» (صحيح مسلم: ٢ / ٦٩٩)

وقال الإمام أبوبكر البيهقي﵀ : (الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ مِنْ شُعَبُ الْإِيمَانِ، وَهُوَ بَابٌ فِي التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى .. وَمَعْنَى هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْمُعَاوَنَةَ عَلَى الْبِرِّ بِرٌّ، لِأَنَّهَا إِذَا عُدِمَتْ مَعَ وُجُودِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ لَمْ يُوجَدِ الْبِرُّ، وَإِذَا أُوجِدَتْ وُجِدَ الْبِرُّ، فَبَانَ بِأَنَّهَا فِي نَفْسِهَا بِرٌّ، ثُمَّ رَجَحَ هَذَا الْبِرُّ عَلَى الْبِرِّ الَّذِي يَنْفَرِدُ بِهِ الْوَاحِدُ بِمَا فِيهِ مِنْ حُصُولِ بِرٍّ كَثِيرٍ مَعَ مُوَافَقَةِ أَهْلِ الدِّينِ، وَالتَّشَبُّهِ بِمَا بُنِيَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الطَّاعَاتِ، مِنَ الِاشْتِرَاكِ فِيهَا، وَأَدَائِهَا بِالْجَمَاعَةِ) (شعب الإيمان: ١٠ / ٨٣)

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي﵀: (وَإِذَا قُرِنَ الْبِرُّ بِالتَّقْوَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، فَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْبِرِّ مُعَامَلَةَ الْخَلْقِ بِالْإِحْسَانِ، وَبِالتَّقْوَى: مُعَامَلَةَ الْحَقِّ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مُحَرَّمَاتِهِ، وَقَدْ يَكُونُ أُرِيدَ بِالْبِرِّ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وَبِالتَّقْوَى: اجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ قَدْ يُرَادُ بِالْإِثْمِ: الْمَعَاصِي، وَبِالْعُدْوَانِ: ظُلْمُ الْخَلْقِ، وَقَدْ يُرَادُ بِالْإِثْمِ: مَا هُوَ مُحَرَّمٌ فِي نَفْسِهِ كَالزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَبِالْعُدْوَانِ: تَجَاوُزُ مَا أُذِنَ فِيهِ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ مِمَّا جِنْسُهُ مَأْذُونٌ فِيهِ، كَقَتْلِ مَا أُبِيحَ قَتْلُهُ لِقِصَاصٍ إلى لَا يُبَاحُ، وَأَخْذِ زِيَادَةٍ عَلَى الْوَاجِبِ مِنَ النَّاسِ فِي الزَّكَاةِ وَنَحْوِهَا، وَمُجَاوَزَةِ الْجَلْدِ فِي الَّذِي أُمِرَ بِهِ فِي الْحُدُودِ وَنَحْوِ ذَلِكَ). (جامع العلوم والحكم، ت. الأرناؤوط: ٢ / ٩٨)

ويقول الشيخ محمد عبد العزيز الشاذلي الخَوْلي ﵀: (فالمؤمنون شأنهم التعاون والتناصر، والتظاهر والتكاتف على مصالحهم الخاصة والمصالح العامة: ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ﴾، أما التفرق والتخاذل فلا يعرفه الإيمان، وليس من الدّين في شيء فإن كان التعاون كانت القوة للمسلمين، والشوكة للموحدين؛ يستخدمونها في التنكيل بعدوهم، أو يسخرونها في الانتفاع بخيرات هذا الكون، وتذليل عناصره، بعمل الجمعيات، وإنشاء الشركات، وإقامة النقابات، وبقدر ما بين المسلمين في أنحاء الأرض من حسن الصلات، ووثيق العلاقات تكون قوتهم، وثبات ملكهم؛ وقيامه خالدًا). (الأدب النبوي: ٥٩) .

وقال محمد رشيد رضا﵀: (إنَّ الله جلَّتْ قدرتُه، وبلغت حكمته، قد برأ هذا الإنسان، بفطرة أعلى من فطرة سائر أنواع الحيوان، .. جعل مدار حياته على التعاون والاجتماع، ليستعين بذلك على استجلاء ما في الكون من النظام والإبداع، وأنشأ أفراده متفاوتين في الاستعداد

للعلوم والأعمال، ليتيسر لمجموع النوع القيام بجميع العلوم والأعمال، فأدناهم الخدم والبناءون والزارعون، وأعلاهم الساسة والحكماء، فالأنبياء والمرسلون، فهؤلاء كالعقول والقلوب والأرواح، وأولئك كالأرجل والأيدي والمَعِد والأمعاء، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج إليه، ومنهم من يهديه إلى أعلى ما يتشوف استعداده إليه، مع إحسانه التصرف فيما هو قائم عليه، وهذه الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للإنسان، الناهض بها إلى طلب الكمال في العلوم والأعمال). (مجلة المنار: ١١ / ٦١٤)

وقال معروف الرصافي:

لولا التَّعاونَ بين النَّاسِ ما شَرفَت نفسٌ ولا ازدَّهرت أرضٌ بعمرانِ

وقال حافظ إبراهيم:

لا تَعجَبَنَّ لِمُلكٍ عَزَّ جانِبُهُ لَولا التَّعاونَ لَم تَنظُر لَهُ أَثَرا

قيمة الوحدة

لا يقوم الاستقرار الاجتماعي، ولا يتحقق التعاون على البر والتقوى إلا على قاعدة الوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والخلاف، فالائتلاف يدفع للتضامن والتناصر، والخلاف يدفع للتنازع والتناحر، ولا تلتقي الأيدي على فعل الخير وإقامة البنيان حتى يسبقها استيطان الألفة في القلوب، وتداعى العقول إلى كل مشترك يجمع أبناء الوطن الواحد، ويقرب بينهم ويرص صفوفهم، فالمجتمع المائل لإثارة الخلافات مجتمعٌ هشٌّ لا يقوم فيه بناءٌ، ولا يتواصى فيه اثنان على خير، بل هو مجتمعٌ متداعي آيل للسقوط على رؤوس ساكنيه إذا اذْلهمَّت الخطوب وهَبَّت العواصف.

قال تعالى واصفًا أمة المسلمين: ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ووصف جماعة المسلمين، فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بينهم﴾ [الفتح: ٢٩]، ووصف قتالهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ونهى عن التنازع الذي يضعف وحدتهم فقال عزوجل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وأمر بالاعتصام فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، قال الإمام المراغي ﷺ: (أي تمسكوا بكتاب الله وعهده الذي عهد به إليكم، وفيه أمركم بالألفة والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله، والانتهاء إلى أمره). (تفسير المراغي :٤ / ١٦) ، **وقال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا- ألا تتبعن أفعصيت أمري- قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٢]**

وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» (رواه البخاري ومسلم)، **وعَنْ جَرِير بن عبدالله ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ثُمَّ قَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»** (رواه الشيخان)، **وعن جندب بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: (اقرؤوا القرآنَ ما ائْتَلَفت قلوبُكم، فإذا اختلفْتُم فقوموا عنه).**(الجامع الصحيح :٤/ ١٩٢٩رقم ٤٧٧٣)، (صحيح مسلم :٤ / ٢٠٥٣رقم ٢٦٦٧)

وورد في كتب السير(أنه مر شاس بن قيس _وكان شيخًا قد عسا، عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد لهم _ على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم بعدما كان بينهم من العداوة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمعوا من قرار، فأمر فتى شابًا من يهود كان معهم، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بُعاث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا يقولون فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك و تنازعوا حتى تواثب رجلان على الركب: أوس بن قيظي من الأوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعًا، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة – والظاهرة: الحرَّة– ثم نادوا السِّلاح السِّلاح ، فخرجوا ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال:«(يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر وألف به بينكم، ترجعون إلى ماكنتم عليه كفاراً؟»، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان و كيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ. (عيون الأثر :١ /٣٣٥)

يقول صفي الرحمن المباركفوري ﷺ: (وكما قام رسول الله ﷺ بعقد المؤاخاة بين المؤمنين، قام بعقد معاهدة أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية، والنزعات القبلية، ولم يترك مجالا لتقاليد الجاهلية، وذكر من بنودها: هذا كتاب من محمد النبي– ﷺ– بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم: أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأن المؤمنين المتقين على من بغى عليهم، أو ابتغى ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولد أحدهم، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ). (الرحيق المختوم: ١٦٩)

قال القاضي حسين بن محمد المهدي: (وفي هذا بيان لكيان الدولة الناشئة على وطن واحد تم دمج أفراده ومجتمعه في كيان واحد يتمتعون بجنسية الدولة الناشئة فهم أمة واحدة)

(صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: ١ / ٣٠١) ، **يقول الشيخ محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي** ﷺ **في حديثه عن اتحاد المسلمين: (البيت مكون من جدران اتصل بعضها ببعض، والجدار مكون من لبنات أو طوب أو حجارة، وللقطعة منها في الجدار من القوة والمتانة ما ليس لها خارجه إذ شدت إلى ما حولها بالأسمنت، وكان لها سند من جميع نواحيها، ولهذا يصعب تحريكها في جدارها، بل يصعب تكسيرها، أما خارج الجدار فليس لها مناعة وقوة فكسرها سهل، ونقلها أسهل، وكذلك الجدار إذا كان قائمًا وحده، وعمره قصير تزلزله حوامل الأثقال إذا مرت بجانبه، وتهزه العواصف الشديدة، أو تطرحه أرضًا فإذا ما اتصل بغيره من طرفيه حتى كانت في الجدار حجرة، وكان من الحجرات منزل أو عمارة؛ رسخ في مكانه وصلب في مقامه، ولا تؤثر فيه الحوادث إلا بقدر، فالجدار وحده ضعيف، وبأمثاله قوي شديد وذلك مثل المؤمن للمؤمن، فهو معه كالبنيان يشد بعضه بعضا).** (الأدب النبوي: ٥٩)

قال الشاعر إبراهيم الطوقان:

لا تَفتَحوا بابَ الشقاق فَإِنَّهُ ... باب عَلى سود العَواقب مُغلَقُ
وَاللَه لا يُرجى الخَلاص وَأَمرَكُم ... فَوضى وَشَمل العاملين ممزقُ
أَينَ الصُفوف تَنَسّقَت فَكَأَنَّما ... هِيَ حائط دون الهَوان وَخَندقُ
أَينَ القُلوب تَأَلَّفَت فَتَدافَعَت ... تَغشى اللَهيب وَكُل قَلب فَيلقُ
أَينَ الأَكُفُّ تَصافَحَت وَتَساجَلَت ... تَبني وَتَصنع لِلخَلاص وَتنفقُ

وقال الشاعر الطغرائي:

كونُوا جميعًا يا بَنِيَّ إِذا اعتَرى ... خَطْبٌ ولا تتفرقُوا آحادَا
تأبَى القِداحُ إِذا اجتمعْنَ تكسُّراً ... وإِذا افترقْنَ تكسَّرتْ أفرادَا

وقال الشاعر أحمد الزين:

كَم أَهدَتِ البِيدُ لِلدُنيا حَضارَتَها ... صَريحَةً لَم يَشُبها الغُشُّ وَالكَذِبُ
حَضارَةٌ رفَعَ الفُرقانُ ذُروتَها ... أَساسُها وَحدةُ الإِنسانِ لا الغَلَبُ
لَو اِستَظَلَّ بِضافي ظِلِّها أُمَمٌ ... في الأَرضِ ما اِختَصَموا يَومًا وَلا اِحتَرَبُوا

قيمة الأخوة

كما أن الوحدة قاعدة الاستقرار والتعاون على البر والتقوى، فإن الإخاء هو قاعدة الوحدة والائتلاف وركنها الركين وأساسها المتين، ولا تكون الوحدة إلا حيث تشيع معاني الأخوة، فالأخوة قوة وشدة في وجه كل عدوانٍ غاشم، ولذا كان أول ما جمع النبي ﷺ عليه أصحابه الوافدين على المدينة مع أصحابه من أهل الأرض وسكان الديار هي الأخوة، فآخى بينهم أخوةً بلغت في أولها حدَّ التوارث، أي جعلها كلُحمة الرحم، وبذاك أذاب بأخوتهم كل الفوارق الموحشة لألفتهم من الجنس واللون، كما نهى عن كل خلقٍ قبيح يُعكِّر صفو الأخوة ويوهنُ حبلها المتين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]

وعَنْ أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ» (صحيح مسلم: ٤ / ١٩٨٦) ، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ ، كَانَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا إِخْوَانًا، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (سنن ابن ماجه: ٢ / ١٠٨٣) ، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ العَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ» (صحيح البخاري: ١ / ١٠٠)

وأورد الأمام السهيلي في فَصْلٌ الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الصّحَابَةِ: (آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ –يعني المهاجرين والأنصار – حِينَ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ، لِيُذْهِبَ عَنْهُمْ وَحْشَةَ الْغُرْبَةِ وَيُؤْنِسَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ، وَيَشُدّ أَزْرَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَلَمّا عَزّ الْإِسْلَامُ وَاجْتَمَعَ الشّمْلُ، وذهبت الوحشة .. جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ يعنى فى التّوادّ وشمول الدعوة). (الروض الأنف،

ت. الوكيل :٤ / ٢٩٦) ، قال صفي الرحمن المباركفوري﵀: (وكما قام النبي ﷺ ببناء المسجد مركز التجمع والتالف، قام بعمل آخر من أروع ما يأثره التاريخ ، وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، قال ابن القيم: ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلًا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ﴾ رد التوارث، دون عقد الأخوة. وقد قيل إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية .. والثبت الأول، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار) أهـ، ومعنى هذا الإخاء– كما قال محمد الغزالي﵀ : (أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حَميَّة إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه ، وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقدًا نافذًا، لا لفظًا فارغًا، وعملًا يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال) أهـ.

فقد رُوي عن أبي هريرة ﵁ قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا» . فقالوا: فتكفونا المؤنة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا. وهذا يدلنا على ما كان عليه الأنصار من الحفاوة البالغة بإخوانهم المهاجرين، ومن التضحية والإيثار والود والصفاء، وما كان عليه المهاجرون من تقدير هذا الكرم حق قدره، فلم يستغلوه ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أودهم، وحقا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة حكيمة، وحلًا رائعًا لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون، والتي أشرنا إليها)). (الرحيق المختوم: ١٦٧–١٦٨)

وأورد ابن كثير أن سفيان الواسطي ذكر رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر إليه وقال: أغزوتَ الروم؟ قال: لا. قال: السّنْدَ والهندَ والتركَ؟ ،قال: لا ، قال: أفسَلِمَ منك الروم والسند والهند، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ ، قال: فلم أعدْ بعدها – يعني إلى عيب أحد. (البداية والنهاية، ٩/ ٣٣٦).

قال الشيخ محمد الغزالي ﵀: (والإخاء الحق لا ينبت في البيئات الخسيسة، فحيث يشيع الجهل والغشّ والجبن والبخل والجشع لا يمكن أن يصحّ إخاء، أو تترعرع محبة، ولولا أن أصحاب رسول الله ﷺ جبلوا على شمائل نقية، واجتمعوا على مبادئ رضية، ما سجّلت لهم الدنيا هذا التآخي الوثيق في ذات الله، فسموّ الغاية التي التقوا عليها، وجلال الأسوة التي قادتهم إليها، نمّيا

فيهم خِلال الفضل والشرف، ولم يدعا مكانًا لنجوم خلة رديئة، ثم إنّ محمدًا عليه الصلاة والسلام كان إنسانًا تجمّع فيه ما تفرّق في عالم الإنسان كله من أمجاد ومواهب وخيرات، فكان صورة لأعلى قمّة من الكمال يمكن أن يبلغها بشر، فلا غرو إذا كان الذين قبسوا منه، وداروا في فلكه رجالًا يحيون بالنجدة والوفاء والسخاء، إنّ الحبّ كالنبع الدافق يسيل وحده، ولا يتكلّف استخراجه بالآلات والأثقال، والأخوّة لا تفرض بقوانين ومراسيم، وإنّما هي أثر من تخلّص الناس من نوازع الأثرة والشح والضّعة، وقد تبودلت الأخوة بين المسلمين الأولين؛ لأنّهم ارتقوا- بالإسلام- في نواحي حياتهم كلّها، فكانوا عباد الله إخوانًا، ولو كانوا عبيد أنفسهم ما أبقى بعضهم على بعض)

(فقه السيرة للغزالي: ١٩١)

وفي كتاب صيد الأخلاق: (الأخوة عزة وقوة، وهي تمثل امتزاج روح بروح وتصالح قلب مع قلب، والإخوة في الله رباط إيماني يقوم على منهج رباني، فالمؤمن من استجاب لنداء ربه، وعمل بأمره وأول عمل عمله الرسول ﷺ بعد الهجرة هو بناء المسجد الذي يرمز إلى توحيد الله وتوحد المسلمين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بين الأغنياء والفقراء فكانت قوة ونعمة ووحدة وأخوة).(صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال :١ / ٨٦)

وفي الأمثال السائرة: (رب أخٍ لك لم تَلدهُ أُمكَ) .

وقال الشاعر:

يُعرّفك الإخوان كلٌ بنفسه وخير أخٍ ما عرفتك الشدائد

وقال آخر:

لعمرك ما مال الفتى بذخيرةٍ ولكن إخوان الثقات الذخائر

وقالت وردة اليازجي:

يا سَادةً حَفظوا المودَّة والوَلاَ وأَتوا بما اعتادوهُ من إحسانِ
لا غروَ إن جئتم بكلّ فضيلةٍ وجبرتُم القلبَ الكسيرَ العاني
فلمثلكُم كرَمُ النفُوس وطيبُها وصَداقةُ الإخوان والخلاَّنِ

قيمة التعايش

إذا كانت الأخوة هي قاعدة الوحدة والاستقرار الاجتماعي فإنها لا تقف عند الأخوة الإيمانية حتى تمتد وتتسع لتشمل الأخوة الوطنية والقومية والإنسانية، وذلك من خلال ترسيخ قيمة التعايش والتسامح مع كل المخالفين من أصحاب الأديان والمذاهب، ويكون التعايش باستحقاقهم للمواطنة الكاملة التي ينالون معها كامل حقوقهم، والعدل معهم، وكذا إقامة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وفوق ذلك البر بهم كالبر بالمؤمنين والإحسان إليهم، ومقابلة إساءتهم بالعفو، ولكل ذا أكدَّ النبي ﷺ هذه الأخوة في وثيقة المدينة بعد إرساءه أخوة الإيمان بين المهاجرين والأنصار.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] أي أن تفعلوا البر والخير لهم وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ أي تحكموا بينهم بالعدل.

كما أحلَّ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية معهم، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وجعل من غايات الجهاد قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]، قال خُوَيْز بن مَنْدَادَ: (تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْمَنْعَ مِنْ هَدْمِ كَنَائِسِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَبِيَعِهِمْ وَبُيُوتِ نِيرَانِهِمْ .. وإنما لم ينقض مَا فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، لِأَنَّهَا جَرَتْ مَجْرَى بُيُوتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمُ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا فِي الصِّيَانَةِ.) (تفسير القرطبي: ١٢ / ٧٠)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣]، والحديث عن بني إسرائيل، قال الإمام السعدي رحمه الله: (أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفى عنهم، واصفح فإن ذلك من الإحسان) (تيسير الكريم الرحمن: ٢٢٦)، وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ﴾ [الشوري: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]

قال ابن عباس ﷺ: (كان أسراهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسرى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء). (تفسير القرآن العظيم :٤/ ٥٨٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]

وعن أسماء ﷺ قالت: قَدِمتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ ،فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: (إن أمي قَدِمَت وهي راغبة، أفأصلُ أمي)؟ قال: «نعم صِلي أمَّكِ » (رواه الشيخان)، كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنهما من أهل الأرض – أي من أهل الذمة – فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: « أليست نفسًا ».(صحيح البخاري :١/ ٤٤١ رقم ١٢٥٠)، (صحيح مسلم :٢/ ٦٦١ رقم ٩٦١)

وعن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّام عليكم، قالت عائشة ﷺ: ففهمتها، فقلت: وعليكم السَّام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا ؟، قال رسول الله ﷺ: «قد قلت وعليكم». (صحيح البخاري :٥/ ٢٢٤٢ رقم ٥٦٧٨) ، (صحيح مسلم :٤/ ١٧٠٦رقم ٢١٦٥)، وعن عبد الله بن عمرو ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرحْ رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا» (صحيح البخاري:٣/ ١١٥٥رقم ٢٩٩٥)

ومما ورد في صحيفة المدينة: (وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة –أي من المشركين– وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .. وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم). (سيرة ابن كثير:٢/ ٣٢٠)، وعَنْ عائشة ﷺ، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ» (صحيح البخاري: ٤ / ٤١) ، وصالح عمر بن الخطاب ﷺ أهل إيلياء بالجابية وكتب لهم .. (هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء

من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم). تاريخ الطبري ج٢ص٤٤٩، وقال ابن العربي ﷺفي قوله تعالى: ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾: أَيْ تُعْطُوهُمْ قِسْطًا مِنْ أَمْوَالِكُمْ عَلَى وَجْهِ الصِّلَةِ، وفيه عُمُومٌ جَوَازِ دَفْعِ الصَّدَقَاتِ إلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ إذْ لَيْسَ هُمْ مِنْ أَهْلِ قِتَالِنَا) تفسير القرطبي (١٨ / ٥٩) وأحكام القرآن للجصاص (٥ / ٣٢٧)

وقال الشاعر جميل صدقي الزهاوي :

قومٌ قد اِتحدت للحق وجهتهم ... فَلا تـفـرق بـيـن القـوم أَديـان

عاشَ النصارى به والمسلمون معاً ... وَقَـد تصافـح إنـجيـل وقرآن

وَلَيسَ من فئة حيف على فئـة ... وَلا عَلى هابـط ظلـم وعـدوان

ولا تفرق يخشى بعد وحدتهم ... حتـى تـفـرق أَرواح وأَبـدان

أَما البلاد فـأدنى مـا رأَيت بها ... حضـارة مـلأت عينـي وعمـران

قيمة التكافل

لا يتحقق معنى الأخوة في أصلها وتمامها إلا بالتكافل بين الناس، ورعاية حقوق الضعفاء منهم، فيرعى الغني الفقير منهم، ويرعى القوي الضعيف منهم، ويرعى العالم الجاهل منهم، ويرعى المقيم الغريب وابن السبيل، ويرعى الصحيح السقيم والمعاق منهم، ويرعى الكبير الصغير واليتيم منهم، ويرعى الواجد المحروم منهم وهكذا، والعدالة الاجتماعية رأس التكافل، وحقيقتها التوزيع العادل للثروة بين كل فئات المجتمع سواء تمثلت هذه الثروة في الزكاة أو الميراث أو الفيء أو غيرها من الموارد كي لا يختص فئة من الناس بالخيرات دون سواهم فتخصب أرض الكراهية، وتجدب أرض المحبة، وتنعدم الأخوة فتشتعل نار العداوة بينهم، ويذهب الاستقرار ويذهب معه الرخاء.

قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)﴾ [البلد: ١١ - ١٧]، (اقتحم العقبة: جاوزها يوم القيامة، فك الرقبة: عنقها المسغبة المجاعة، والمقربة: القرابة، متربة: لصق بالتراب لفقره) تفسير الجلالين

وقال تعالى في رعاية حقوق الضعفاء: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨]، يقول الإمام السعدي ﷺ : (أي أعط القريب منك –على حسب قربه وحاجته– حقه الذي أوجبه الشارع، أو حضَّ عليه من النفقة الواجبة والصدقة والهدية والبر والسلام والإكرام والعفو عن زلته والمسامحة عن هفوته، وكذلك المسكين الذي أسكنه الفقر والحاجة ما تزيل به حاجته وتدفع به ضرورته من إطعامه وسقيه وكسوته، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الغريب المنقطع به في غير بلده الذي في مظنة شدة الحاجة) (تيسير الكريم الرحمن: ٦٤٢) ، **وقال تعالى في رعاية الوالدين في ضعفهما: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]**

وقال تعالى في اختصاص الفيء بالضعفاء: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ [الحشر: ٧]، قال البغوي ﷺ: (وَالدُّولَةُ اسْمٌ لِلشَّيْءِ الَّذِي يَتَدَاوَلُهُ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ، بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ

، يَعْنِي بين الرؤساء والأقوياء. ..فَيَغْلِبُوا عَلَيْهِ الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا إِذَا اغْتَنَمُوا غَنِيمَةً أَخَذَ الرَّئِيسُ رُبُعَهَا لِنَفْسِهِ، وَهُوَ الْمِرْبَاعُ، ثُمَّ يَصْطَفِي مِنْهَا بَعْدَ الْمِرْبَاعِ مَا شَاءَ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَسُولِهِ ﷺ يَقْسِمُهُ فِيمَا أُمِرَ بِهِ). (تفسير البغوي : ٥ / ٥٧)

وقال تعالى في التوريث: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]

قال شيخ الأزهر المراغي ﷺ: (ذكر هنا أن المال الموروث الذي يحفظه الأولياء لليتامى يشترك فيه الرجال والنساء، وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأولاد الصغار، ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة). (تفسير المراغي: ٤ / ١٩١)

وقال تعالى في توثيق الديون: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، يقول جلال الدين المحلي ﷺ: (أي ضَعِيفًا عَنْ الْإِمْلَاء لِصِغَرٍ أَوْ كِبَر أَوْ لَا يَسْتَطِيع أَنْ يُمِلّ لِخَرَسٍ أَوْ جَهْل بِاللُّغَةِ أَوْ نَحْو ذَلِكَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيّه مُتَوَلِّي أَمْره مِنْ وَالِد وَوَصِيّ وَقَيِّم وَمُتَرْجِم بِالْعَدْلِ) (تفسير الجلالين: ٦٣) ، وقال تعالى في رعاية ملك اليمين: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]

وقال تعالى في حفظ مال اليتيم: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، وقال في رعاية الرضيع: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَاغْرِفْ لجيرانك منها) (صحيح ابن حبان :٢ / ٢٨٢) ، وفي شأن الجائع، ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ» (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، المستدرك على الصحيحين:

/ ١٨٤)، وفي رعاية والضيف، ورد عنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيّ، قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: «فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، ..» رواه الشيخان، قَالَ الْعُلَمَاءُ : (مَعْنَاهُ الِاهْتِمَامُ بِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَإِتْحَافُهُ بِمَا يُمْكِنُ مِنْ بِرٍّ وَإِلْطَافٍ ، وَأَمَّا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ فَيُطْعِمُهُ مَا تَيَسَّرَ وَلَا يَزِيدُ عَلَى عَادَتِهِ ، وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَمَعْرُوفٌ إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ ، قَالُوا وَقَوْلُهُ ﷺ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ حَتَّى يُؤْثِمَهُ مَعْنَاهُ لَا يَحِلُّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي الْإِثْمِ لِأَنَّهُ قَدْ يَغْتَابُهُ لطُولِ مَقَامِهِ أَوْ يُعَرِّضُ لَهُ بِمَا يُؤْذِيهِ أو يظن به.

وقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الضِّيَافَةِ وَأَنَّهَا مِنْ مُتَأَكِّدَاتِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى والجمهور هي سنة ليست بواجبة، وَقَالَ اللَّيْثُ وَأَحْمَدُ هِيَ وَاجِبَةٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وقال أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هِيَ وَاجِبَةٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَهْلِ الْقُرَى دُونَ أَهْلِ الْمُدُنِ) (شرح النووي على مسلم: ١٢ / ٣١)

وفي شأن رعاية المرأة، ورد عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ) (سنن ابن ماجه وحسنه الألباني ت. محمد فؤاد عبد الباقي: ١ / ٥٩٤) ، وفي شأن المعاق والضال الغريب، ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ) (حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ سنن الترمذي ت شاكر: ٤ / ٣٤٠) ، وفي شأن رعاية القرابة ورد عَنْ أبي هريرة_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أخرجه الشيخان، يقول الإمام القاري رحمه الله: (وَوصل الرَّحِم تشريك ذَوي الْقُرْبَى فِي الْخيرَات، وَهُوَ قد يكون بِالْمَالِ وبالخدمة وبالزيارة وَنَحْوهَا. وَقَالَ عِيَاض: لَا خلاف أَن صلَة الرَّحِم وَاجِبَة فِي الْجُمْلَة، وقطيعتها مَعْصِيّة كَبِيرَة، وَالْأَحَادِيث تشهد لهَذَا، وَلَكِن للصلة دَرَجَات بَعْضهَا أرفع من بعض، وَأَدْنَاهَا ترك المهاجرة وصلتها بالْكَلَام وَلَو بِالسَّلَامِ، وَيخْتَلف ذَلِك باخْتِلَاف الْقُدْرَة وَالْحَاجة، فَمِنْهَا وَاجِب، وَمِنْهَا مُسْتَحبّ). (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١١ / ١٨١)

وفي شأن رعاية ملك اليمين يقول محمد توفيق صدقي رحمه الله: (أمر الإسلام بالإحسان إلى الأرقاء ومعاملتهم بالرفق والليين، فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ إلى أن قال: ﴿وَمَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، ونهى عن لطم المملوك وضربه وجعل كفارة ذلك العتق، فقال عليه الصلاة والسلام «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه»، وليس هذا فقط، بل قال: (إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (صحيح البخاري :١ / ١٥) وقال: «لا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي» وحث على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله: «من كانت له جارية فعلَّمها وأحسنَ إليها وتزوجها كان له أجران» هذا، وقد أمر الله تعالى بتزويجهم، فقال في القرآن الشريف: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ﴾ وإذا افترش السيد أمته فولدت له كان الأولاد أحرارًا ويرثون في أبيهم إلى غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط، وليس هذا كل ما فعله الإسلام بأولئك الضعفاء) (مجلة المنار: ٨ / ٧٢١) ، ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان ﷺ: (وإذا لم يوجد في بيت المال ما يسد حاجات المحتاجين وجب على الأغنياء سد حاجات الفقراء، وفي هذا يقول الفقيه ابن حزم: "وفرضٌ على الأغنياء من أهل كل بلدٍ أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكاة بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بُدَّ منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنّهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة" ويؤيد ما ذهب إليه ابن حزم أنَّ الزكاة ليست هي الحق الوحيد في أموال الأغنياء للفقراء، فقد روي عن عائشة وابن عمر وغيرهما من الصحابة ﷺ أنهم قالوا: "إنَّ في المال حقًّا سوى الزكاة".

وقد ذكر القرطبي والرازي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ قالا: إنَّ الإيتاء هنا غير الزكاة، وإنه من الواجبات لا التطوعات، وضرب الرازي لهذه الواجبات بعض الأمثلة منها إطعام المضطر، ثم قال القرطبي: "واتفق العلماء على أنَّه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة، فإنه يجب صرف المال إليها، وقال مالك ﷺ : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم، وهذا إجماع أيضًا، وعلى هذا نرى جواز قيام ولي الأمر المسلم بتنظيم جباية المال اللازم من الأغنياء، بفرض الضرائب العادلة في أموالهم بقدر ما يسد حاجات المحتاجين، ويمكّن الدولة الإسلامية من القيام بالوجائب المفروضة على المسلمين، والتي تقم بها الدولة نيابةً عنهم، مثل: تحصين الثغور وإعداد السلاح للدفاع عن دار الإسلام) (أصول الدعوة: ٢٤٦)

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في مدح الرسول ﷺ:

أَنصفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى ... فَالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَواءُ
لَوَ أن إنساناً تَخَيَّرَ مِلَّةً ... ما اِختارَ إِلّا دينَكَ الفُقَراءُ

وقال الشاعر أحمد محرم في مدح الرسول ﷺ:

جاروا عَلى المُستَضعَفينَ وَرَوَّعوا ... مَن باتَ في دَعَةٍ وَطيبِ أَمانِ
مَنّوا عَلَيهِم بِالحَياةِ ذَليلَةً ... مَحيا الذَليلِ وَمَوتُهُ سِيّانِ
يَشكون حَشرَجَةَ القَتيلِ وَعِندَهُم ... أَنَّ الحَياةَ تَكونُ في الأَكفانِ
ضاعَت حُقوقُ العالَمينَ فَرَدَّها ... وَأَقامَها بِالقِسطِ وَالميزانِ
ظَلَمَ العَزيزُ فَهَدَّهُ وَأَهانَهُ ... وَحَمى الذَليلَ فَباتَ غَيرَ مُهانِ

قيمة التعارف

لم تقتصر تعاليم الإسلام على الأخوة الإيمانية والأخوة الوطنية بل تجاوزتها إلى الأخوة الإنسانية مع كل الشعوب والأمم، والتي من خلالها فتح الباب على السلام العالمي وغلَّق أبواب الحروب والصراعات، كما فتح الباب من خلال هذه القيمة على تبادل العلوم والمعارف بين كل الحضارات، بما يعود بالخير على المجتمع المحلي والأمة الإسلامية والبشرية جمعاء، كما فتح الباب على التقارب بين هذه الشعوب بإدراكها للمشترك الإنساني بينها، والذي يعزز من خلاله قيم التعاون على البر والتقوى والنضال ضد الإثم، أو أي عدوان على حريات الشعوب وحقها في الحياة الكريمة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وأمر بالبحث عن المشترك الإنساني فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وأمر بالإحسان وبذل السلام إلى الإنسان أيًا كانت ملته وهويته فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعِمُ الطعامَ وتَقرأُ السَّلامَ على من عَرفتَ ومن لم تَعرِفْ» (الجامع الصحيح:١/ ١٣رقم ١٢)، (صحيح مسلم ١/ ٦٥رقم ٣٩)، قال الإمام النووي ﷺ: (والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة.. التي تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء، وفساد ذات البين التي هي الحالقة). (المنهاج شرح صحيح مسلم : ٢ / ٣٦)

وعن عائشة ﷺ قالت: سمعت النبي ﷺ يقول «الأرواحُ جنودُ مجنَّدة فما تعارفَ منها ائتَلف، وما تَناكَر منها اخْتلف». (الجامع الصحيح :٣/١٢١٣رقم ٣١٥٨)، (صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٣١رقم ٢٦٣٨)، وعن عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: رَدْفتُ رسولَ الله ﷺ يوماً، فقال: «هل معكَ من شِعرِ أُميَّة بن أبي الصَّلْتِ شَيءٌ؟» قلتُ: نَعَمْ، قال: «هِيْه» فَأنشَدتُهُ بَيتاً، فقالَ: «هِيْه» ثم أَنشَدْتُه بَيتاً، فقال: «هِيْه» حتى أَنشَدْتُه مِائةَ بيْتٍ. (صحيح مسلم:٤/ ١٧٦٧رقم ٢٢٥٥)

ولما قدم سويد مكة حاجًا أو معتمرًا وكان سويد يسميه قومه (الكامل) لجَلده وشِعره وشرفه ونسبه، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله والإسلام، فقال له سويد: فلعل

الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ : وما الذي معك، قال مجلة لقمان_ يعني حكمة لقمان_، فقال رسول الله ﷺ أعرضها علي فعرضها عليه، فقال: إنَّ هذا الكلام حَسَنٌ والذي معي أفضلُ منه، قرآنٌ أنزلَهُ اللَّهُ علَيَّ، فتَلا عليه رسول الله ﷺ القرآنَ ودَعاهُ إلى الإسلام، فلم يَبعُد منه، وقال: إن هذا لقول حسن. (البداية والنهاية :٣ /١٤٧)

وعن محمد بن عمر قال كان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان، وكان أول شهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر، وقال يا رسول الله: (إنَّا كُنا بفارس إذا حُوصْرنَا خَندَقنَا علينا). (تاريخ الأمم والملوك :٢ / ٩١)

وفي كتاب (الأحكام السلطانية) للماوردي قال: (وأوّل من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واختلف الناس في سبب وضعه له، فقال قوم: سببه أنَّ أبا هريرة قدِمَ عليه بمال من البحرين، فقال له عمر: ماذا جئت به؟ فقال: خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر فقال له: أتدري ما تقول؟ قال: نعم، مائة ألفٍ خمس مرات، فقال عمر: أطيب هو؟ فقال: لا أدري، فصعد عمر المنبر، فحمد الله تعالى وأثني عليه، ثم قال: أيها الناس، قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم كِلْنَا لكم كيلًا، وإن شئتم عَددنَا لكم عدًّا، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانًا لهم، فدوّن أنت لنا ديوانًا، فأمر بِوَضْع الدَّوَاوِين ، وقال آخرون: بل سببه أن عمر بعث بعثًا، وكان عنده الهرمز، فقال لعمر: هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فإنْ تخلَّف منهم رجل وآجل بمكانيه، فمن أين يعلم صاحبك به، فأثبت لهم ديوانًا، فسأله عن الديوان حتى فسّره لهم) (الأحكام السلطانية للماوردي: ٢٩٧) ، والدِّيوَانُ: هُوَ الدَّفتر الَّذِي يُكْتَبُ فِيهِ أسماءُ الْجَيْشِ وأهْل العَطَاء. وأوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ عُمَر، وَهُوَ فارسيٌّ مُعرَّبٌ. (النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢ / ١٥٠)

وخطب الحجاج فقال: (إن الله أمرنا بطلب الآخرة، وكفانا مؤونة الدنيا، فليته كفانا مؤونة الآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا) ، فقال الحسن البصري رحمه الله : (خذوها من فاسق، الحكمة ضَالَّة المؤمن)، وقال الإمام المناوي رحمه الله: (كلمة الحكمة ربما نطق بها من ليس لها بأهل، ثم رَجعتْ إلى أهلها فهو أحق بها كما أن صاحب الضالة لا ينظر إلى خساسة من وجدها عنده) . (فيض القدير:٥ /٦٥ ، رقم ٦٤٦٢)

ونقل الإمام المناوي رحمه الله عن أحد العارفين أنه قال: (لا يحجبنك أيها الناظر في العلم النبوي الموروث إذا وقفت على مسألة من مسائله ذكرها فيلسوف أو متكلم أن تنقلها وتعمل بها لكون قائلها لا دين له، فإن هذا قول من لا تحصيل له، إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلًا، فإذا

وجدنا شرعنا لا يأباها قبلناها سيما فيما وصفوه من الحكم، والتبرئ من الشهوات ومكائد النفوس، وما تنطوي عليه من سوء الضمائر). (فيض القدير:٥/٦٥رقم ٦٤٦٢)، **ويقول صاحب الظلال: (إنها «أُمَّةً وَسَطاً» .. في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ... ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ،ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم: الحقيقة ضَالَّةُ المؤمن أنَّى وجدها أخذها، في تثبت ويقين)** . (في ظلال القرآن: ١ / ١٣١)

في كلمتين فقط يصف القرآن موقفه الواضح تجاه التراث الديني الممتد لقرون طويلة في ذاكرة الشعوب، والذي صار جزءً من تكوينهم النفسي والاجتماعي ﴿مصدقًا ومهيمنًا﴾، فليس هناك أي نية قرآنية للإعدام الثقافي والديني الشامل لذاكرة الشعوب وموروث أجدادهم، وإنما الغاية تصحيح الأخطاء الدخيلة عليهم ﴿مهيمنا﴾، ويبقى ما سواه محل ترحيب وتأييد ﴿ومصدقاً﴾، كم يهزنا القرآن حين يختزل قيمه الإنسانية المذهلة في عبارات موجزة، تبعث الأمان في نفوس الخائفين من الجديد القادم على قديمهم، إنه اعتراف بهوية الآخر، واحترام لثقافته، واعتراف صريح بالنافع منها، ورغبة إنسانية في الانفتاح الواعي على موروثاتهم للإفادة والاستفادة، وهنا نلمس وراء هذه الكلمات –مصدقا ومهيمنا –إرادة إلهية بضرورة إنشاء مراكز بحوث وفق معايير صارمة لدراسة تجارب وحضارات الأمم والشعوب، لتحديد لون ومضمون الخطاب المناسب للدخول لكل أمة لتسويق ثقافتنا، وتحديد المشترك الثقافي المقرب للمسافات، واقتناص ما نستكمل به مسيرتنا مما ينسجم مع هويتنا).

قال شكيب أرسلان:

أَزالوا سَفاهاتِ الشُعوبِ وَقابَلوا سَفاسِفَهُم بِالمَكرُماتِ الجَلائِلِ
وَشادوا عَلى تِلكَ الرُسومُ حَضارَةً أُقيمَت عَلى أُسِّ التُقى وَالفَضائِلِ
فَأَصبَحَ مِنهُم عامِراً كُلَّ غامِرِ وَأَضحى لَدَيهِم مَمرَعاً كُلُّ قاحِلِ
زَها وَنَما نَبتُ الوَشيجِ بِأَرضِهِم وَفي مُدنِهِم زادَت فُنونُ الصَيَاقِلِ
أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم وَإِلّا فَهُم في الأَرضِ خَيرُ القَبائِلِ

قيمة الحسبة

إذا استكمل المجتمع بناءه من خلال قيم الاستخلاف في الأرض ابتداءً من تحقيق الاستقرار الاجتماعي، والتعاون على أنواع البر، واستباق الخيرات ،مرورًا بتحقق قيم التعايش والتعارف والأخوة والوحدة الداخلية والعدالة الاجتماعية، كان لا بُدَّ من القيمة الحافظة لآثار كل تلك القيم، والسياج الحامي لما غزله المجتمع من علاقات قوية وصلبة، وهذه القيمة هي قيمة النهي عن الفساد في الأرض التي تتولى منصب الحارس الأمين للمجتمع من التفتت والسقوط، وشيوع المنكرات وانحسار الخيرات، فالمجتمعات لا تتهاوى أو تسقط في أيدي الغزاة إلا بعد أن ينخرها الفساد في غيبة أو تخاذل من المصلحين في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١]

وفي وصايا لقمان لابنه: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالى عن بني اسرائيل: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)﴾ [المائدة: ٦٢ – ٦٤]، وقال تعالى عن أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» الصحيحين، وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» صحيح مسلم (٣ / ١٤٨٠) ، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي

أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» صحيح مسلم(٦٩/١) ، والحواريون: هم خلصان الأنبياء وأصفياؤهم؛ والخلصان: الذين نُقوا من كل عيب وقيل: هم أنصارهم، وقيل: المجاهدون، وخُلوف بضم الخاء جمع خلف هو الخالف بشرّ . دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢ / ٤٦٩)

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي ﷺ: (وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جِهَادِ الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ. وَقَدِ اسْتَنْكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ، وَقَالَ: هُوَ خِلَافُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ. وَقَدْ يُجَابُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ التَّغْيِيرَ بِالْيَدِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْقِتَالَ. وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَدُ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ صَالِحٍ، فَقَالَ: التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ لَيْسَ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ، وَحِينَئِذٍ فَجِهَادُ الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ أَنْ يُزِيلَ بِيَدِهِ مَا فَعَلُوهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، .. أَوْ يُبْطِلَ بِيَدِهِ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الظُّلْمِ إِنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ، وَكُلُّ هَذَا جَائِزٌ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ بَابِ قِتَالِهِمْ، وَلَا مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمِ الَّذِي وَرَدَ النَّهْيُ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذَا أَكْثَرُ مَا يُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُقْتَلَ الْآمِرُ وَحْدَهُ). جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢ / ٢٤٨) ، وعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» . صحيح مسلم (١ / ٦٩)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ» ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ» الصحيحين، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ , فَيَقُولُ: " يَا هَذَا ، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ , فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ " ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وشريبه وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ " , ثُمَّ قَالَ " ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ – كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا

كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] " ، ثُمَّ قَالَ: "كَلَّا وَاللهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ،وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ،وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ". سنن أبي داود (٤ / ١٢٢)

وَقَالَ عمر بن عبد الْعَزِيز ﷺ : (إن الله تَعَالَى لَا يعذب الْعَامَّة بِعَمَل الْخَاصَّة وَلَكِن إِذا ظَهرت الْمعاصِي فَلم ينكروا فقد اسْتحق الْقَوْم جَمِيعًا للعقوبة) نصاب الاحتساب (ص: ٢٠٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (بيَّن سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس: فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم؛ لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف، ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق، وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف ولا نهوا كل أحد عن كل منكر، ولا جاهدوا على ذلك. بل منهم من لم يجاهد، والذين جاهدوا كبني إسرائيل فعامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم، كما يقاتل الصَّائل الظالم؛ لا لدعوة المجاهدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر) (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص: ٧)، وقال شهاب الدين النويري: (فالمقصود بالجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الإمكان، فمن هداه الله منهم سعد في الدنيا والآخرة، ومن لم يهتد كفّ ضرره عن غيره). نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٢ / ٢٧٦)

وقال الشاعر أحمد محرم:

أشقى الشُّعوبِ وأولاها بمرحمةٍ ... شَعبٌ تَلَقَّفَهُ الغاوونَ فانْخدعا

لولا دِفاعُكَ طارتْ نارُها شُعَلًا ... واسْترسلَ الدَّمُ في أرجائها دُفَعا

وقفتَ للشرِّ تَنهاهُ وتزجُرُه ... حَتى تراجعَ بعد الكرَّ وارْتَدعا

لمّا طلعت على الأحداثِ تدفعُها ... تكشّفَ العارضُ المُسودُّ وانْقشعا

قيمة الشورى

نصَّ القرآنُ على إلزامية الشورى وضرورتها في حياة الناس، وقرنها بالصلاة والصلة بالله، وجعلها من أوائل ما أمر به في العهد المكي، ففي الشورى سداد الرأي واجتماع الأمر والهداية للرشد، وهي عامة في شؤون الأسرة وقضايا المجتمع وسياسة الأمة، في فترات السلم والحرب على السواء، للرجل والمرأة دون تمييز، وكلما كان الأمر أعظم كانت الشورى ألزم، ولا تكون الشورى إلا حين يتوافر مناخ الحريات، ويتساوى الناس في الحقوق والواجبات، ولا يستبد برأيه إلا أحمق أو طاغية.

قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشوري: ٣٨]، وقال الله تعالى عن رسوله ﷺ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالى عن بلقيس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]، يقول الإمام الشعراوي ﷺ : (أي لا أَبُتُّ في أمر إلا في حضوركم، وبعد استشارتكم ، وهذا يدل على أنها كانت تأخذ بمبدأ الشورى رغم ما كان لها من الملْك والسيطرة والهيمنة)، وقال تعالى عن الحياة الأسرية: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة:٢٣٣]

قال الإمام ابن عاشور ﷺ : (وَالْفِصَالُ: الْفِطَامُ عَنِ الْإِرْضَاعِ .. وَعَطَفَ التَّشَاوُرَ عَلَى التَّرَاضِي تَعْلِيما للزوجين شؤون تَدْبِيرِ الْعَائِلَةِ، فَإِنَّ التَّشَاوُرَ يُظْهِرُ الصَّوَابَ وَيَحْصُلُ بِهِ التَّرَاضِي).

(التحرير والتنوير :٢ / ٤٣٨)

وكان أبو هريرة ﷺ يقول : ما رأيت أحدًا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ .(صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان قال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح: ١١ /٢١٦ رقم ٤٨٧٢)، **وقال الإمام البخاري ﷺ: (وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المُقام أوالخروج ، .. وشاور عليًا وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة ﷺ..، وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها.. وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولًا أو شبانًا).**(الجامع الصحيح المختصر :٦ /٢٦٨١)، **ولما صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية قال لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا » فوالله ما**

قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة: (يا نبي الله، اخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك) ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك .. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غَمَّاً.

قال ابن حجر ﷺ: (عرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله..، وفيه فضل المشورة..، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة). (فتح الباري :٥ /٣٤٧)، قال ابن تيمية ﷺ: (مِنْ سَدَادِ الرَّأْيِ وَإِصَابَتِهِ أَنْ يَكُونَ شُورَى بَيْنَ أَهْلِهِ ، وَلَا يَنْفَرِدُ بِهِ وَاحِدٌ ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَوْنِ أَمْرِهِمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَكَانَتْ النَّازِلَةُ إذَا نَزَلَتْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخطاب ﷺ لَيْسَ عِنْدَهُ فِيهَا نَصٌّ عَنْ اللَّهِ وَلَا عَنْ رَسُولِهِ جَمَعَ لَهَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ – ص– ثُمَّ جَعَلَهَا شُورَى بَيْنَهُمْ). (إعلام الموقعين عن رب العالمين :١ / ٦٦) ، ويقول الإمام الرازي ﷺ: (كَانَ الصحابة إذَا وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَاقِعَةٌ اجْتَمَعُوا وَتَشَاوَرُوا فَأَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أنهم لَا يَنْفَرِدُونَ بِرَأْيٍ بَلْ مَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ لَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ ، وَعَنِ الْحَسَنِ: مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إلَّا هدوا لأرشد أمرهم). (تفسير الرازي :٢٧ / ٦٠٣) ، ويقول سيد قطب ﷺ: («وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ» جعل أمرهم كله شورى ، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة، وهو نص مكي. كان قبل قيام الدولة الإسلامية، فالشورى أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع المجتمع المسلم في كل حالاته، ثم ينتقل من المجتمع إلى الدولة، ولهذا كان طابع الشورى في المجتمع باكرًا ، وكان مدلولها أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها. إنه صبغة للحياة، وسمة مميزة للجماعة، ومن ألزم صفات القيادة). (في ظلال القرآن (بتصرف) :٥ / ٣١٦٥) ، وقال الإمام رشيد رضا ﷺ: ("وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" أَيْ دُمْ عَلَى الْمُشَاوَرَةِ وَوَاظِبْ عَلَيْهَا في الأمر الْعَامِّ الَّذِي هُوَ سِيَاسَةُ الْأُمَّةِ فِي الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالْخَوْفِ وَالْأَمْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ ، .. وَإِنْ أَخْطَئُوا الرَّأْيَ فِيهَا فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي تَرْبِيَتِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِالْمُشَاوَرَةِ دُونَ الْعَمَلِ بِرَأْيِ الرَّئِيسِ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ لَهُمْ فِي مُسْتَقْبَلِ حُكُومَتِهِمْ إنْ أَقَامُوا هَذَا الرُّكْنَ الْعَظِيمَ ، فَإِنَّ الْجُمْهُورَ أَبْعَدُ عَنِ الْخَطَأِ مِنَ الْفَرْدِ فِي الْأَكْثَرِ، وَالْخَطَرُ عَلَى الْأُمَّةِ فِي تَفْوِيضِ أَمْرِهَا إِلَى الرَّجُلِ الْوَاحِدِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ). تفسير المنار (٤ / ١٦٣)

لن تلق الوفاق بغير تراض، ولن تجني الطاعة بغير تشاور، والزوج الأحمق من يمارس الاستبداد تحت مظلة (القوامة)، فيكسب المواقف ويخسر القلوب، ومن كان في بيته أسدًا، فلن

يجد حوله إلا ضباعًا تتآمر عليه، أو فرائس تفر منه، ومن الحكمة: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ومن بدأ بالاستخارة، وثنّى بالاستشارة فحقيق ألا يخطئ رأيه، ومن أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ .

قال أحمد شوقي في مناقب رسول الله ﷺ :-

وَالدينُ يُسرٌ وَالخِلافَةُ بَيعَةٌ وَالأَمرُ شورى وَالحُقوقُ قَضاءُ

ولمحمد الوراق:

إنّ اللبيب إذا تفرّق أمره فتق الأمور مناظرًا ومشاورًا

وأخو الجهالة يستبدّ برأيه فتراه يعتسف الأمور مخاطرًا

ولخليل مطران:

الْحُكْمُ شُورَى لاَ تَفَرُّدَ صَالِحٌ فِي غَيْرِ حُكْمِ الْوَاحِد القَهَّارِ

قيمة الإحسان

الإحسان فعل الله في عباده وأمره إليهم، وهو غاية الابتلاء وميدان السباق بين العباد، وعلى قدر الإحسان تثقل الأعمال في الميزان وتتحقق مقاصدها في نفع الخلق وتحظى بالقبول عند الله، والإحسان يكون في كل أفعال العبد وأقواله التي يتقرب بها إلى الله ومع سائر العباد مؤمنهم وكافرهم، ومع كل الأحياء من إنسان وحيوان ونبات، ولا يتم أمر الناس بالعدل وحده حتى يجتمع إليه الإحسان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:١٧٨]، وقال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

وعن شداد بن أوس ﷺ عن رسول الله ﷺ ، قال: « إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوْا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوْا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ » (صحيح مسلم) ، قال ابن عريشاه: (وَإِنَّمَا ذكر ﷺ القتلة وَالذّبْح لِأَنَّهُمَا الْغَايَة من الْفَاعِل فِي أَذَى الْحَيَوَان وَلَا يبْقى بعدهمَا للإحسان وَجه فَإِذا كَانَ مَأْمُور بِالْإِحْسَانِ فِي فعل مَا هُوَ الْغَايَة فِي الْأَذَى فَكيف بِغَيْر ذَلِك فالإحسان مَأْمُور بِهِ على كل حَال) . (حسن السلوك الحافظ دولة الملوك: ١٩٧)، وعن جابر بن عبد الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: « ألا أُنبئكُم بِخياركُم من شِراركُم» قالوا: بلى قال: «خِياركُم أطولكُم أعمارًا و أحسَنكُم عملًا». (صحيح على شرط الشيخين :المستدرك :٤٨٩/١)، وعن عائشة ﷺ

أن رسول الله ﷺ قال: « إنَّ اللهَ يحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكم عملًا أنْ يُتقِنَه » (المعجم الأوسط :١ /٢٧٥رقم ٨٩٧) ، (السلسلة الصحيحة :١٠٦/٣رقم١١١٣)، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ " قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ...». (صحيح مسلم :٢١٩/١ رقم٢٥١)

قال ابن رجب: (فَالصَّلَاةُ تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا بِشَرْطِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ وَإِحْسَانِهِ) (جامع العلوم والحكم ت.الأرناؤوط:٢/ ١١)، وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ» (رواه مسلم) ، وعن جَابِرَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ يَوْمًا، فقال: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ» (مسلم :٢ / ٦٥١) ، قَالَ الإمام النووي ﷺ (قيل: أَيْ فِعْلَ التَّكْفِينِ مِنَ الْإِسْبَاغِ وَالْعُمُومِ ، وقيل الكفن أي أن يَكُونُ الْكَفَنُ حَسَنًا وَالْمُرَادُ بِتَحْسِينِهِ بَيَاضُهُ وَنَظَافَتُهُ وَسُبُوغُهُ وَكَثَافَتُهُ لَا كَوْنُهُ ثَمِينًا لِحَدِيثِ النَّهْيِ عَنِ الْمُغَالَاةِ) (حاشية السيوطي على سنن النسائي [منقول بتصرف] :٤ / ٣٣) ، وعَنْ أبي هريرة ﷺ ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» (صحيح البخاري :٢ / ١٣٣) ، قال ابن عبد البر ﷺ: (وَأَمَّا الْحَجُّ الْمَبْرُورُ فَقِيلَ هُوَ الَّذِي لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةَ وَلَا رَفَثَ فِيهِ وَلَا فُسُوقَ وَيَكُونُ بِمَالٍ حَلَالٍ ، وقال مُجَاهِدٍ عن بن عُمَرَ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ) (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد :٢٢ / ٣٩)، (الاستذكار :٤ / ١٠٥) ، وعن أَبُي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ». (رواه الشيخان)

وكتب عُمر بنُ عبد الْعَزِيز ﷺ إلى الحسن البصري ﷺ: (أَن أَعنِي بِبَعْض أَصْحَابك)، فَكتب إِلَيْهِ الحسنُ أما بعد: فَإِنَّهُ مَن كَانَ من أَصْحَابِي يُرِيد الدُّنْيَا فَلَا حَاجَة لَك فِيهِ، ومَن كَانَ يُرِيد الْآخِرَة فَلَا حَاجَة لَهُ فِيمَا قبَلك، وَلَكِن عَلَيْك بذوي الْإِحْسَان فَإِنَّهُم إِن لم يتقوا استحيُوا، وَإِن لم يستحيُوا تكرموا). (نثر الدر في المحاضرات :٥ / ١١٧) ، وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي: (اعلم أرشدك الله تعالى أن الله تعالى أمر بالعدل، ثم علم سبحانه وتعالى أن كل الناس ليست تصلح على العدل بل تطلب الإحسان وهو فوق العدل، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠] . فلو وسع الخلق العدل ما قرنه بالإحسان). (سراج الملوك: ٥١)

وفي كلام لابن تيمية ﷺ: (والمقصود..أن الدين والشرع لم يأمر إلا بما هو نفع وإحسان ورحمة للعباد، وأن المؤمن عليه أن يقصد ذلك ويريده، فيكون مقصوده الإحسان إلى الخلق ونفعهم). (جامع المسائل لابن تيمية: ٦ / ٣٧)

– وَكتب بعض الْحُكَمَاء إِلَى بعض الْمُلُوك: (املك الرّعية بِالْإِحْسَانِ تظفر بالمحبة فَإِن طلب ذَلِك بِالْإِحْسَانِ هُوَ أدوم بَقَاء مِنْهُ بالعسف، وَاعْلَم أَنه إِنَّمَا تملك الْأَبدَان بتخطيها إِلَى الْقُلُوب بِالْمَعْرُوفِ) (دولة الملوك: ١٨١)، **ومن حكمة العرب: (من كافأ الْإِحْسَان تنوفس فِي الْإِحْسَان إِلَيْهِ ، ومن كَانَ أغلب خصاله عَلَيْهِ الْإِحْسَان اغتفرت زلته، وأقيلت عثرته).** (نثر الدر في المحاضرات :٤ / ١٦٨) ، **وقيل لحكيم: (أَي شَيْء من أَفعَال الْعباد يشبه أفعال الله؟)، فقَالَ: (الْإِحْسَان إِلَى النَّاس).** (نثر الدر في المحاضرات :٤ / ١١٤)

وفي نونية أبي الفتح البستي :

أحسنْ إلى النَّاسِ تسْتَعبد قُلوبَهمُ ... فطَالمَا اسْتعبدَ الإنسانَ إحسانُ

وقال آخر:

إذا هبّتْ رياحُكَ فاغتنْمهَا ... فعُقبىَ كلّ خافقةٍ سُكونُ

ولا تَقعدْ عن الإحسانِ فيهَا ... فلا تَدري السُّكونُ متى يَكونُ

القسم الثالث

قيم عمارة الأرض

(العمران وبناء الدولة)

قيمة الإصلاح الشامل

إذا كانت عمارة الأرض هي إحدى الغايات في خلق الإنسان؛ فإن هذه الغاية تسعى للإصلاح الشامل للإنسان والكون والحياة، الإصلاح الشامل للإنسان في قلبه وعقله وجوارحه، والإصلاح الشامل للكون بكل ما فيه من أحياء وموارد ينتفع بها الخلق، والإصلاح الشامل للحياة بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... إلخ، تسعى للإصلاح الشامل لأمور الدين والدنيا العاجل منها والآجل، كما تسعى لإصلاح الأجيال والقائمين عليها من علماء وسياسيين ومربين .. إلخ، وتسعى للإصلاح الشامل لتراث الأمة ونظامها وقانونها ومنهجها في إدارة الحياة.

قال شعيب ﷺ في الإصلاح الشامل: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] ، وفي الإصلاح السياسي، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وفي صلاح الرُّواد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

وفي إصلاح النسيج الاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وفي صلاح الأمة والدولة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، وفي إصلاح الأجيال، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

وفي إصلاح النفس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩]، وفي إصلاح العمل، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، وفي صلاح المرجعية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وفي إصلاح الكون، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥]

قال الشيخ محمد رشيد رضا ﷺ: (وَالْإِفْسَادُ بَعْدَ الْإِصْلَاحِ أَظْهَرُ قُبْحًا مِنَ الْإِفْسَادِ عَلَى الْإِفْسَادِ، فَإِنَّ وُجُودَ الْإِصْلَاحِ أَكْبَرُ حُجَّةً عَلَى الْمُفْسِدِ إِذَا هُوَ لَمْ يَحْفَظْهُ وَيَجْرِي عَلَى سَنَنِهِ. فَكَيْفَ إِذَا هُوَ أَفْسَدَ وَأَخْرَجَهُ عَنْ وَضْعِهِ؟ وَلِذَلِكَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ، وَإِلَّا فَالْإِفْسَادُ مَذْمُومٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ فِي كُلِّ

حَالٍ، فَحُجَّةُ اللهِ عَلَى الْخُلُوفِ وَالْخَلَائِفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُفْسِدِينَ، لِمَا كَانَ مِنْ إِصْلَاحِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، أَظْهَرُ مِنْ حُجَّتِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ هُمْ أَحْسَنُ حَالًا مِنْ سَلَفِهِمُ الْغَابِرِينَ). تفسير المنار (٨ / ٤١٠)، وقال القرطبي رحمه الله : (وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَهَى عَنْ كُلِّ فَسَادٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ بَعْدَ صَلَاحٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ. فَهُوَ عَلَى الْعُمُومِ عَلَى الصَّحِيحِ من الأقوال. وقال الضحاك: معناه لا تغوروا الْمَاءَ الْمَعِينَ، وَلَا تَقْطَعُوا الشَّجَرَ الْمُثْمِرَ ضِرَارًا. وَقَدْ وَرَدَ: قَطْعُ الدَّنَانِيرِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ. وَقَدْ قِيلَ: تِجَارَةُ الْحُكَّامِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ. وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ: الْمُرَادُ وَلَا تُشْرِكُوا، فَهُوَ نَهْيٌ عَنِ الشِّرْكِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَالْهَرْجِ فِي الْأَرْضِ، وَأَمْرٌ بِلُزُومِ الشَّرَائِعِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللَّهُ بِبَعْثِهِ الرُّسُلَ، وَتَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ وَوُضُوحِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ). تفسير القرطبي (٧ / ٢٢٦)

وفي إصلاح شأن الإنسان كله، رُوي عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قوله في دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» سنن أبي داود وحسنه الألباني تـ محمد محي الدين (٤ / ٣٢٤)، وفي صلاح الدين والدنيا والآخرة، ورد عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» صحيح مسلم (٤ / ٢٠٨٧) ، وفي صلاح البدن وتعافيه، روي عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ. سنن أبي داود وحسنه الألباني.

وفي صلاح القلب والجوارح، عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» أخرجه الشيخان، وفي صلاح الموارد، ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ،عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ» (ورعامها هو ما يجري من أنفها من المخاط) صحيح البخاري (٤ / ١٩٨)

وفي صلاح الولاة، يقول الشَّيْخ عز الدّين بن عبد السَّلَام ﷺ فِي قَوَاعِده : (إذا شغر الزَّمَان عَن الْوِلَايَة الْعُظْمَى وَحضر اثْنَان يصلحان للْإِمَامَة .. فَإِن كَانَا متساويين من كل وَجه تخير بَينهمَا ..وَإِن كَانَ أَحدهمَا أصلح تعيّنت ولَايَة الْأَصْلَح على الصَّالح إِلَّا أَن يكون الْأَصْلَح بغيضًا إِلَى النَّاس أَو محتقرًا عِنْدهم وَيكون الصَّالح محببًا إِلَيْهِم أَو عَظِيمًا فِي أَعينهم فَيقدم الصَّالح على الْأَصْلَح لِأَن الإقبال عَلَيْهِ مُوجب للمسارعة إِلَى طواعيته وامتثال أمره فِي جلب الْمصَالح ودرء الْمَفَاسِد فَيصير حِينَئِذٍ أرجح مِمَّن ينفر عَنهُ لتقاعد أعوانه عَن المسارعة إِلَى مَا يَأْمر بِهِ من الْمصَالح وَدفع الْمَفَاسِد فَيصير الصَّالح بِهَذَا السَّبَب أصلح) (حسن السلوك الحافظ دولة الملوك (ص: ٨٧) ، وفي صلاح المال العام والخاص وحفظه، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: (أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فإن إقلالًا في رفق خيرٌ من إكثار في خَرق، وقالوا إن في صلاح الأموال سلامة الدين، وجمال الوجه، وبقاء العز، وصون العِرض ..، وقال أبو حنيفة لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه، ويصل به رحمه، ويستغنى به عن لئام الناس)

وقال الشاعر:

حفظ المال خير من فناه وسير في البلاد بغير زاد
قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال الشاعر موسى حسين شوال في مدح ووصف خير المصلحين :

أيّها المخبرُ عَن أهلِ اللِوى كَرّرِ الأخبارَ عَنهم وَأَعِد
قاصداً نحوَ النبيّ المُصطفى خير مأمولٍ وَأزكى مُقتصَد
قد أَقَامَ العدلَ والإنصافَ في كلِّ إقليمٍ وفي كلِّ بَلَد
وبهِ قَد حَصحصَ الحقّ وَقَد نَسخَ الإصلاح منهُ ما فَسَد
أَنقذَ الناسَ منَ الجهلِ إلى ال إستقاماتِ وَمنهاجِ الرَشَد
وَقناة الدينِ قد ثقّفها فَهمُ بعدَ اِعوجاجٍ لرَشَد

قيمة العمل

العمل والكفاح عماد التنمية والإصلاح الشامل، والعمل يشمل مختلف الحرف والصناعات التي بها يقوم الإنسان باستخراج واستغلال وتنمية وتحويل موارد البر والبحر، وما فيهما من معادن وأحياء وثروات، والاستفادة منها في إشباع احتياجاته، والوصول إلى حال الاكتفاء والرخاء، ويشمل العمل _كذلك_ المهارات التي تُعنى ببناء الإنسان وإعداده لمسيرة البناء والعمران، وتكون نهضة الشعوب بقدر ما تجيد من هذه الحرف والمهارات، وبقدر فاعلية أبناءها وانخراطهم في مسيرة التنمية والعمران، فمن يقل حَظُّهُ من العمل والاحتراف يقل حَظُّهُ من الرخاء والقوة، والأمم المصابة بفيروس العجز والكسل الذي استعاذ منه الرسول الكريم ﷺ بقوله : «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والهَرَمِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ، وأَعُوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ».

قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٦١]، قال القرطبي رحمه الله: (أَيْ جَعَلَكُمْ عُمَّارَهَا وَسُكَّانَهَا). تفسير القرطبي (٩ / ٥٦) ، **وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى عن نبيه داود عليه السلام:﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] قال ابن عاشور رحمه الله: أي لبوس الحرب من الدروع والجواشن والمغافر.** التحرير والتنوير ج١ ص١٥١٢

وقال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. [سبأ: ١٣]، والمحاريب:أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج، وجفان كالجواب: جمع جفنة؛ وهي الحوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها، وقدور راسيات: ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم. تفسير الجلالين ص٥٦٤

وقال تعالى لنوح عليه السلام :﴿واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:٣٧]، وقال تعالى عن البناء والعمران: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤ – ٩٧]، وقال تعالى عن مادة العمران: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. [الحديد: ٢٥]

وأعلى النبي الكريم ﷺ من شأن العاملين، فقد ورد عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ، وَالتَّعَفُّفَ، وَالمَسْأَلَةَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»، فَاليَدُ العُلْيَا: هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى: هِيَ السَّائِلَةُ " أخرجه البخاري ومسلم، كما حضَّ على الاحتراف، فعن أبي ذر ﷺ قال سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال: « إيمانٌ باللَّه وجهادٌ في سَبِيله » ، قلت فأي الرِّقاب أفضلُ ؟ قال: « أغلاهاَ ثَمناً وأنفَسهَا عند أهلِهَا »، قلتُ: فإنْ لَم أفعلْ ؟، قال: « تُعينُ صانعًا أو تَصنعُ لأخَرق ».صحيح مسلم ج٨٩/١ رقم: ٨٤ ، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (كان زكرياء نَّجارًا». صحيح مسلم ج١٨٤٧/٤رقم: ٢٣٧٩

وعَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» صحيح البخاري (٣ / ٥٧) ، وفي شأن عمارة الأرض بإحيائها بالزراعة والغرس ماورد عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمٍ يغرسُ غرسًا، أو يزرعُ زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كانَ له بهِ صدقة». صحيح مسلم ٣ / ١١٨٩ ، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إنْ قامتِ الساعةُ و في يدِ أحدِكم فسيلةً ، فإن استطاعَ أنْ لا تقومَ حتى يغرِسَها فليغرِسْها ». مسند أحمد ٣ /١٩١.

وعن ابن عباس ﷺ مرفوعاً: أنه كان إذا نَظرَ إلى رجل فأعجَبَهُ قال: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا، قال: سقط من عيني، فإنه من لم يحترف يعيش بدينه. ميزان الاعتدال (١ / ٢٣٠) ، ويقول الدكتور زيدان ﷺ: (يحثّ الإسلام على العمل ويكره العجز والكسل، وأشرف الأعمال وأعظمها قدرًا ما يقرّب من الله تعالى، كالعبادات الخالصة كالصلاة، والأعمال المباحة إذا اقترنت بها النية الصالحة .. وفي باب الكسب والنشاط الاقتصادي ..يبارك العامل ويثني على جهده .. والحث على العمل وبذل النشاط الاقتصادي جاء عامًّا مطلقًا غير مقصور على نوع معين، وغير مقيد بشيء سوى الحِلّ الشرعي، وعلى هذا فإنَّه يشمل جميع أنواع النشاط الاقتصادي، ومختلف أنواع المعاملات والمكاسب، مثل: التجارة والزراعة والصناعة والشركة والمضاربة والإجارة، وسائر ما يباشره الإنسان من أوجه العمل والنشاط الاقتصادي لغرض الكسب الحلال .. ولهذا وجدنا أكابر الأمَّة من علمائها وفقهائها يمارسون مختلف المهن الحرة المباحة، كما وجدنا بعض الصحابة الكرام يؤجرون أنفسهم لغيرهم) أصول الدعوة (ص: ٢٤٨)

وقال الإمام أبو حامد الغزالي﵀ :(فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات كالفلاحة، والحياكة، والسياسة، بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك) إحياء علوم الدين ١٦/١، وقال الشيخ يوسف القرضاوي﵀: (ومن فروض الكفاية على المسلمين، أن يهيئوا العدد المدرب الكافي لكل صناعة أو مهنة يحتاج إليها المجتمع حتى يكتفي المسلمون اكتفاءً ذاتيًا، فيأكلوا مما يزرعون، ويلبسوا مما ينسجون، ويسلحوا جيوشهم بما يصنعون، مهتدين بقول الله تعالى: ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد للناس﴾، وعبارة: (بأس شديد)، تشير إلى الصناعات الحربية، وعبارة: (ومنافع للناس)، تشير إلى الصناعات المدنية، وما لم يتم ذلك فالمسلمون آثمون، وبخاصة أولو الأمر منهم). ملامح المجتمع المسلم

ويقول الإمام ابن القيم ﵀: (وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَى صِنَاعَةِ طَائِفَةٍ – كَالْفِلَاحَةِ وَالنِّسَاجَةِ وَالْبِنَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ: أَنْ يُلْزِمَهُمْ بِذَلِكَ بِأُجْرَةِ مِثْلِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا تَتِمُّ مَصْلَحَةُ النَّاسِ إِلَّا بِذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ: إِنَّ تَعَلُّمَ هَذِهِ الصِّنَاعَاتِ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ تَجْهِيزُ الْمَوْتَى وَدَفْنُهُمْ، وَكَذَلِكَ أَنْوَاعُ الْوِلَايَاتِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ الَّتِي لَا تَقُومُ مَصْلَحَةُ الْأُمَّةِ إِلَّا بِهَا). الطرق الحكمية (ص: ٢٠٨)

وقال الشاعر: (جميل صدقي الزهاوي) :

لا يعقب العمل الكَبير حبوطُ ... إلا إذا هدم الرجاء قنوطُ
إنا بعصر لا حَياة بأرضه ... إلا لمن هو في الكفاح نشيطُ
وإذا تقدمت الشعوب حضارة ... تَزداد فيها للحياة شروطُ
أَما الألى صعدوا بلا سند لهم ... فَلَهم عَلى قدر الصعود هبوطُ

ويقول أيضًا :

يا ليتني بين القبائل طائفٌ ... وعليَّ من نعم الإمام شعارُ
أدعو وأوقظُ كل سَاهٍ خاملٍ ... حتى تَعودَ حضارةٌ وعمارُ

قيمة الجهاد والاجتهاد

لا يؤتي العمل لتحقيق التنمية ثماره على التمام إلا ببذل الجهد (الجهاد) في شتى مناشط الحياة؛ الجهاد بالسلطان والقرآن، الجهاد بالسنان واللسان؛ الجهاد بالزراعة والاحتراف؛ الجهاد المادي والمعنوي؛ الجهاد بالنفس والمال؛ الجهاد الظاهر والباطن: الجهاد بالغزو وتجهيز الغزاة، الجهاد بالموت في سبيل الله، والجهاد بالحياة في سبيل الله، الجهاد في المنشط والمكره واليسر والعسر، الجهاد بدفع العدوان وتعمير الأوطان، فالجهاد تتعدد ميادينه ووسائله ليعمَّ كل التكاليف الإلهية، ولن يؤتي العمل للتنمية ثماره على الكمال إلا ببذل الجهد في الاجتهاد لسلوك طريق الإبداع والاختراع، والترقي في سلم التطوير لإضافة المزيد، والتميز على الأمم الأخرى في الأفكار والمعارف، وفي الوسائل والأدوات، وفي السلع والمنتجات.

قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، قال الإمام الرازي ﷺ: (اسْتَفْرِغُوا وُسْعَكُمْ فِي إِحْيَاءِ دِينِ اللَّه وَإِقَامَةِ حُقُوقِهِ بِالْحَرْبِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَجَمِيعِ مَا يُمْكِنُ وَرُدُّوا أَنْفُسَكُمْ عَنِ الْهَوَى وَالْمَيْلِ وقَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ الْمُبَارَكِ: حَقَّ جِهَادِهِ، مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى ، والْأَوْلَى أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ التَّكَالِيفِ، فَكُلُّ مَا أُمِرَ بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ جِهَادٌ). (مفاتيح الغيب: ٢٣ / ٢٥٥)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال الإمام البيضاوي ﷺ : (وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا في حقنا وإطلاق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعه) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤ / ٢٠٠) **، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، قال الإمام القرطبي ﷺ: ((وَجاهِدْهُمْ بِهِ) قَالَ ابن عباس ﷺ أي بِالْقُرْآنِ. وقال ابْنُ زَيْدٍ: بِالْإِسْلَامِ. وَقِيلَ: بِالسَّيْفِ، وَهَذَا فِيهِ بُعْدٌ، لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ).** (تفسير القرطبي: ١٣ / ٥٨) **، وقال شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي ﷺ : (أي: جاهدهم بالقرآن جهادًا كبيرًا مصحوبًا بالإغلاظ عليهم تارة، وبإبطال شبهاتهم وأراجيفهم تارة أخرى).** (التفسير الوسيط لطنطاوي: ١٠ / ٢٠٩)

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]،

يقول إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ﷺ: (وأما قوله: ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله، على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان، من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك، وذلك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم لعلهم يحذرون، أي لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، حذرًا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبِروا خبرَهم).

(تفسير الطبري = جامع البيان، تحقيق شاكر: ١٤ / ٥٧٣)

وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، قال ابن كثير ﷺ: (ذَكَرَ تَعَالَى أَصْنَافَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَسَمَهُمْ إِلَى (مُهَاجِرِينَ) خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَجَاءُوا لِنَصْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، وَبَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَإِلَى (أَنْصَارٍ) وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذْ ذَاكَ والذين آوَوْا إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَوَاسَوْهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَنَصَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْقِتَالِ مَعَهُمْ فَهَؤُلَاءِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ ، أَيْ كُلٌّ مِنْهُمْ أَحَقُّ بِالْآخَرِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، كُلُّ اثْنَيْنِ أخوان) (مختصر تفسير ابن كثير: ٢ / ١٢٠)، وقال ابن عاشور ﷺ: (فَالْمُهَاجِرُونَ امْتَازُوا بِالسَّبْقِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَكَبَّدُوا مُفَارَقَةَ الْوَطَنِ. وَالْأَنْصَارُ امْتَازُوا بِإِيوَائِهِمْ، وَبِمَجْمُوعِ الْعَمَلَيْنِ حَصَلَ إِظْهَارُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَقَدِ اشْتَرَكَ الْفَرِيقَانِ فِي أَنَّهُمْ آمَنُوا وَأَنَّهُمْ جَاهَدُوا، وَاخْتُصَّ الْمُهَاجِرُونَ بِأَنَّهُمْ هَاجَرُوا وَاخْتُصَّ الْأَنْصَارُ بِأَنَّهُمْ آوَوْا وَنَصَرُوا) (التحرير والتنوير: ١٠ / ٨٤)

وعَنْ أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» . قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» (أخرجه الشيخان) ، وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا» (أخرجه الشيخان)، قال المناوي: جهز غازيا أي هيأ لَهُ أسباب سَفَره أَو أعطَاهُ عدَّة الْغَزْو ، وقال النووي ﷺ : وكذا لِكُلِّ خَالِفٍ لَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ مِنْ قَضَاءِ حَاجَةٍ لَهُمْ

وَإِنْفَاقٍ عَلَيْهِمْ أَوْ مُسَاعَدَتِهِمْ فِي أَمْرِهِمْ وَيَخْتَلِفُ قَدْرُ الثَّوَابِ بِقِلَّةِ ذَلِكَ وَكَثْرَتِهِ. التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٤١٣) ، و(شرح النووي على مسلم: ١٣ / ٤٠)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ» (سنن أبي داود: ٤ / ١٢٤) ، وعَنْ عائشة ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ» (صحيح البخاري: ٤ / ١٥) ، قال الإمام القاري﷾: (لم يرد عَلَيْهَا أَفضَلِيَّة الْجِهَاد من حَيْثُ هُوَ جِهَاد، وَلكنه جعل الْحَج المبرور من أفضل الْجِهَاد) (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٤ / ٨٢)

وقال ابن بطال﷾: (، فأما إذ ظهر الإسلام وفشا، وصار الجهاد من فروض الكفاية على من قام به، فالحج حينئذ أفضل؛ .. فإن حَلَّ العدو ببلدة واحتيج إلى دفعه، وكان له ظهور وقوة وخيف منه؛ توجه فرض الجهاد على العيان، وكان أفضل من الحج، والله أعلم). (شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤ / ١٩٠) ، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍوﷺ، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ» (أخرجه البخاري ومسلم)

(قال الإمام القاري﷾: أي ففي حقهما وخدمتهما فاجتهد، فإنه أولى في حقك إذا كانا محتاجين إلى خدمتك ونفقتك ، وقال الإمام الزرقاني: أَيْ خُصَّهُمَا بِجِهَادِ النَّفْسِ فِي رِضَاهُمَا وَبِرِّهِمَا ، وقال السندي: أَي جَاهد نَفسك أَو الشَّيْطَان فِي تَحْصِيل رضاهما وإيثار هواهما على هَوَاك وَقيل الْمَعْنى فاجتهد فِي خدمتهما) ،(شرح مسند أبي حنيفة للقاري: ١ / ٣٢٤) ، قال ابن بطال﷾: (وهذا إنما يكون في وقت قوة الإسلام وغلبه أهله للعدو، وإذا كان الجهاد من فروض الكفاية، فأما إذا قوى أهل الشرك وضعف المسلمون، فالجهاد متعين على كل نفس، ولا يجوز التخلف عنه وإن منع منه الأبوان). (شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٩ / ١٩١)

ورُوي عن عمر لحظة إسلامه، أنه قال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ» ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الِاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا، وَأَنَا فِي الْآخَرِ، لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ، فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلَهَا، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ الْفَارُوقَ، وَفَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ) (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١ / ٤٠)

يقول صفي الرحمن المباركفوري ﷺ: (وبعد إسلام هذين البطلين الجليلين– حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ﷺ أخذت السحائب تنقشع، وأفاق المشركون عن سكرهم في إدلاء العذاب والنكال إلى المسلمين، وحاولوا مساومة مع النبي ﷺ بإغداق كل ما هو يمكن أن يكون مطلوبًا له؛ ليكفوه عن دعوته، ولم يكن يدري هؤلاء المساكين أن كل ما تطلع عليه الشمس لا يساوي جناح بعوضة أمام دعوته، فخابوا وفشلوا فيما أرادوا). (الرحيق المختوم: ٩٤) ، **ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (والجهاد: منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، والدعوة، والحجة، والبيان، والرأي، والتدبير، والصناعة، فيجب بغاية ما يمكنه)** (الاختيارات الفقهية:٤٤٧).

ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان ﷺ: (الجهاد في اللغة: بذل الإنسان جهده وطاقته .. والجهاد أنواع، فهناك الجهاد باللسان ببيان شرائع الإسلام ودحض الأباطيل المفتراة عن الإسلام، والجهاد بالمال بإنفاقه في وجوه البر، لا سيما على الغزاة والمقاتلين في سبيل الله، بشراء العتاد والسلاح والأرزاق لهم، والجهاد بالنفس بمقاتلة أعداء الله) . (أصول الدعوة: ٢٧٣)

ويقول سيد قطب ﷺ حول جهاد العدو فكريًا بالقرآن: (وإن في هذا القرآن من القوة والسلطان، والتأثير العميق، والجاذبية التي لا تقاوم، ما كان يهز قلوبهم هزًا، ويزلزل أرواحهم زلزالًا شديدًا، فيغالبون أثره بكل وسيلة فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلًا ، ولقد كان كبراء قريش يقولون للجماهير: (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) .. وكانت هذه المقالة تدل على الذُّعْر الذي تضطرب به نفوسهم، ونفوس أتباعهم من تأثير هذا القرآن، وهم يرون هؤلاء الأتباع كأنما يُسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين، والسورة والسورتين، يتلوهما محمد بن عبد الله ﷺ فتنقاد إليه النفوس، وتهوى إليه الأفئدة). (في ظلال القرآن: ٥ / ٢٥٧١)

يقول أحمد شوقي في وصف الحبيب ﷺ:

وَالشَرُّ إِن تَلقَهُ بِالخَيرِ ضِقتَ بِهِ ذَرعاً وَإِن تَلقَهُ بِالشَرِّ يَنحَسِمِ
عَلَّمتَهُم كُلَّ شَيءٍ يَجهَلونَ بِهِ حَتّى القِتالَ وَما فيهِ مِنَ الذِمَمِ
دَعَوتَهُم لِجِهادٍ فيهِ سُؤدُدُهُم وَالحَربُ أُسُّ نِظامِ الكَونِ وَالأُمَمِ

وقال عنترة:

وَما زالَ الشَبابُ وَلا اِكتَهَلنا ... وَلا أَبلى الزَمانُ لَنا جَديدا
وَما زالَت صَوارِمُنا حِداداً ... تَقُدُّ بِها أَنامِلُنا الحَديدا
إِذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ أَعادينا سُجودا
فَمَن يَقصِد بِداهِيَةٍ إِلَينا ... يَرى مِنّا جَبابِرَةً أُسودا
وَيَومَ البَذلِ نُعطي ما مَلَكنا ... وَنَملا الأَرضَ إِحساناً وَجودا
وَنُنعِلُ خَيلَنا في كُلِّ حَربٍ ... عِظاماً دامِياتٍ أَو جُلودا

قيمة النظام

النظام بمثابة الطريق المعبد لمسيرة العمل والبناء، والسائق الماهر بمثابة المرشد البصير، فالعمل والموارد لا يحَسُن نتاجهما ويبلغان الغاية إلا وفق خطة مدروسة، ومهام معلومة محددة، وصلاحيات مرسومة، وتوزيع للأدوار، وإحصاء دقيق، وقيادة راشدة، وكوادر ذات كفاءة ومعايير منضبطة في الإنجاز والعمل والاختيار، وتنسيق دقيق بين الأجهزة والأقسام العاملة، وتحديد للسلطات، وتسلسل للقيادة، وتنبؤ بالمخاطر وغيرها من قيم المؤسسية، وكل هذه كانت حاضرة بكثافة ووضوح في سيرة الرسول الحضارية التي أقام بها الدولة، ومهَّد بها للفتح الإسلامي.

قال الله تعالى حاكيًا عن خطة يوسف_عليه السلام_ لإنقاذ مصر من المجاعة: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾ [يوسف: ٤٧ – ٤٩]، ففي سنوات الخصب (مضاعفة الإنتاج والادخار)، وفي سنوات الجدب (التقشف في الاستهلاك)، وفي عام الرخاء (التَّفكُّه والتَّنعُّم) .

وقال تعالى في خطة القتال: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ﴾ [محمد: ٤]، وقال تعالى في الإحصاء اللازم لخطة العمل والحساب: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]

ونظَّم الله تعالى كيفية الصلاة حال الحرب، فقال: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢]

ورسم الله تعالى نظام المؤمنين حين المواجهة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وقال أيضًا: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦]، قال الشيخ الطنطاوي ﷺ: (والحزب

معناه الجمع من الناس يجتمعون على رأي واحد من أجل أمرٍ حَزبهُم أي: أهمَّهُم وشَغلَهم). (التفسير الوسيط لطنطاوي: ٤ / ٢٠٢)

ويقول الشيخ الشعراوي ﷺ: (وكلمة «حزب» معناها: جماعة التف بعضهم مع بعض على منهج يرون فيه الخير، ولا يمكن أن يجتمع قوم بقوة كل فرد فيهم بفكر كل فرد منهم إلا إذا كان هذا الأمر هو خيراً اجتمعوا عليه، إذن فحزب الله في أي وضع وفي أي تكوين ولأيَّةِ غايةٍ هو الحزب الغالب). (تفسير الشعراوي: ٦ / ٣٢٤١) ، وقال تعالى في تقسيم المهام بين المؤمنين بين السلم والحرب: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وحكى عن قيام ذي القرنين بتنظيم وتوزيع الأدوار في بناء السد فقال: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ [الكهف: ٩٦ – ٩٧]، يقول الشيخ الشعراوي ﷺ: (لم يكن ذو القرنين رجلاً رحالة، يسير هكذا بمفرده، بل مكَّنه الله من أسباب كل شيء، ومعنى ذلك أنه لم يكن وحده، بل معه جيش وقوة وعدد وآلات، معه رجال وعمال، معه القوت ولوازم الرحلة، وكان بمقدوره أنْ يأمرَ رجاله بعمل هذا السدِّ، لكنه أمر القوم وأشركهم معه في العمل لِيُدرِّبهم ويُعلِّمهم ما داموا قادرين، ولديهم الطاقة البشرية اللازمة لهذا العمل). (تفسير الشعراوي ١٤ / ٨٩٩١)

وحكى تعالى في تقسيم وتنظيم بني إسرائيل، فقال: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، قال العلماء: (عدَّد اللَّه نعمه على قوم موسى، فأفاد أنه صيَّرهم اثنتي عشرة فرقة وجعلهم جماعات، وميَّز كل جماعة بنظامها، منعا للتحاسد والخلاف، وأوحى إلى موسى حين طلب منه قومه الماء في التيه، بأن يضرب الحجر بعصاه، فضربه فانفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط، وقد عرف كل جماعة منهم مكان شربهم الخاص بهم، فلا يزاحمهم فيه غيرهم) (المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢٣٢)

وقال تعالى عن مرجعية القيادة : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]،

يقول جلال الدين المحلي: (وَأي ذَا جَاءَهُمْ أَمْر عَنْ سَرَايَا النَّبِيّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ النَّصْرِ أَوْ الْهَزِيمَةِ أَفْشَوْهُ .. فَتَضْعُف قُلُوب الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَّى النَّبِيّ ولَوْ سَكَتُوا عَنْهُ حَتَّى يُخْبِرُوا بِهِ الرَّسُول وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكَابِر الصَّحَابَة لَعَلِمَوا هَلْ هُوَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُذَاع أَوْ لَا) (تفسير الجلالين (بتصرف): ١١٥)

وحكى عن توجيه وتمحيص طالوت لجنوده: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وفي اختيار الكفاءات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]

وقال أيضًا: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ - قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٩-٤٠]، وفي وضع معايير قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٧٢]

وفي الإحصاء، ورد عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ» ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ؟ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا» ، قَالَ: «فَابْتُلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا» (صحيح مسلم: ١ / ١٣١)، وفي النظام، قال النعمان بن بشير ﷺ قال النبي ﷺ : « لتُسَوُّنَّ صفوفَكم أو ليُخالفنَّ الله بين وجوهكم».(الجامع الصحيح :١/ ٢٥٣رقم: ٦٨٥)، (صحيح مسلم : ١/ ٣٢٤رقم: ٤٣٦)، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالسًا فصلوا جلوسًا أجمعون». ، (صحيح مسلم: ١/ ٣٠٩ رقم :٤١٤)

وفي الترتيب القيادي والتنبؤ بالمخاطر، أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «زيد بن حارثة أمير الناس فان قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلًا فليجعلوه

عليهم». (البداية والنهاية: ٠ ٤/ ٢٤١)، **وعن أهمية وجود القيادة، ما رواه عمر بن الخطاب ﷺ فقال: (إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا عليكم أحدكم ذاك أمر أمره رسول الله ﷺ)**. (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا عمار بن خالد وهو ثقة، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٥/٤٦٤ رقم: ٩٣٠٥)

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ﷺ: (وإنما نحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ، ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة ، وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، ومهما كان المدبر واحداً انتظم أمر التدبير ، وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر، إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار). (إحياء علوم الدين : ٢/٢٥٢)، **وقال سيد قطب ﷺ في وصف الأمة الوسط: (" أُمَّةً وَسَطًا " .. في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان.. ولكن مزاج من هذا وذاك)**. في ظلال القرآن (١ / ١٣١)

يقول الشاعر أحمد نسيم:

ونَظِّموا ما استطَعتمُ من صُفوفِكمُ فالجيشُ إن يَعرُه الإخلالُ يَنهزمُ

ويقول الشاعر أحمد محرم:

مَرْحَى شبابَ النِّيلِ تلك جُهودُكم ضَنّتْ بِوَحدتِه فلم تتصدَّعِ
أنتم جَمعتمْ لِلقضيَّةِ جَبهةً لولا انتظامُ صُفوفِكُمْ لم تُجْمَعِ
ألَّفتُمُ الزُّعماءَ بعد تَفرُّقٍ ومَلكتمُ الأهواءَ بَعدَ تَمنُّعِ
كانت قُوىً فَوْضى فَمِنْ مُتحزِّبٍ يَمضِي لِغايتِهِ وَمِن مُتشيِّعِ
اليومَ نَنهضُ ظَاهرين بِحُجّةٍ بيْضاءَ تَدفعُ تُرَّهاتِ المُدَّعي

قيمة الوفاء بالعهود

تنشأ عن خطط العمل والتنمية في مسيرة العمران والتنمية الكثير من العقود والاتفاقات والمواثيق داخل المؤسسة العاملة، وكذا بينها وبين سائر العاملين في الميدان أفراداً ومؤسسات؛ الأهلية منها والرسمية، سواء أكانت هذه المؤسسات سياسية، أو اجتماعية، أو حقوقية، أو سواها؛ خدمية أو ربحية، خاصة أو عامة، ونجاح هذه المؤسسات في خطة البناء ابتداءً من أصغر تكويناتها كالأسرة إلى أعلى تكويناتها المتمثل في مؤسسات الدولة قائمٌ على احترام هذه العهود والاتفاقات، وشعورها بالمسؤولية تجاه هذه العقود، واعتبار الوفاء بها دين وطاعة لله، ونقضها غدر وخيانة ونفاق وفسوق.

أمر الله بالوفاء بالعقود، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، ونهى عن الخيانة والنقض للعهود، فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

وجعل الاستقامة هي القاعدة في العقود والعهود، فقال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، وجعل جماع الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)﴾ [النحل: ٩١، ٩٢]، قال نخبة من علماء الأزهر: (أوفوا بالعهود التي تقطعونها على أنفسكم، مشهدين اللَّه على الوفاء بها، ما دام الوفاء متسقًا مع ما شرعه اللَّه، ولا تنقضوا الأيمان بالحنث فيها، بعد تأكيدها بذكر اللَّه، وبالعزم وبالتصميم عليها وقد راعيتم في عهودكم وحلفكم أن اللَّه يكفل وفاءكم، وأن اللَّه رقيب ومطلع عليكم، فكونوا عند عهودكم وأيمانكم، لأن اللَّه – سبحانه – يعلم ما يكون منكم من وفاء وخُلف وبرّ وحنث، فيجازيكم على ما تفعلون، ولا تكونوا في الحنث في أيمانكم بعد توكيدها مثل المرأة

المجنونة التي تغزل الصوف وتحكم غزله، ثم تعود فتنقضه وتتركه محلولاً، متخذين أيمانكم وسيلة للتغرير والخداع لغيركم، مع أنكم مصرون على الغدر بهم، لأنكم أكثر وأقوى منهم، أو تنوون الانضمام لأعدائهم الأقوى منهم، أو لترجون زيادة القوة بالغدر، وإنما يختبركم اللَّه فإن آثرتم الوفاء كان لكم الغنم في الدنيا والآخرة، وإن اتجهتم إلى الغدر كان الخسران). (المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٤٠١)

وجعل النبي الكريم العهد دينًا، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: «لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» (حديث حسن مسند أحمد شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون ١٩ / ٣٧٦) ، **كما جعل النَّذرَ عهدًا، عَنْ عائشة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ــ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ»** (صحيح البخاري: ٨ / ١٤٢)

وجعل خلف العهد نفاقًا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » (أخرجه البخاري ومسلم)، **وجعل لمخلف العهد لواء غدرٍ يوم القيامة مع الله، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»، والغادر: الذي يواعد على أمرٍ ولا يفي به.** (صحيح مسلم: ٣ / ١٣٥٩)

كما جعل خصومة مخلف الوعد مع الله عزَّ وجل، عَنْ أبي هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ » (صحيح البخاري: ٣ / ٨٣) ، **قال المهلب: هذا الحديث مصداقه في كتاب الله، قال الله –ومن نكث فإنما ينكث على نفسه–)** (شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٦ / ٣٩٨) ، **وقال الشيخ القاري ﷺ: «رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثم غدر » أَيْ عَهِدَ بِاسْمِي وَحَلَفَ بِي، أَو أَعْطَى الْأَمَانَ بِاسْمِي، أَوْ بِمَا شَرَعْتُهُ مِنْ دِينِي ثُمَّ غَدَرَ)** (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٥ / ١٩٩١)

وقال ابن حجر ﷺ: (وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ هُوَ فِي مَعْنَى مِنْ بَاعَ حُرًّا وَأَكَلَ ثَمَنَهُ لِأَنَّهُ اسْتَوْفَى مَنْفَعَتَهُ بِغَيْرِ عِوَضٍ وَكَأَنَّهُ أَكَلَهَا وَلِأَنَّهُ اسْتَخْدَمَهُ بِغَيْرِ أُجْرَة وَكَأَنَّهُ استعبده) (فتح الباري: ٤ / ٤١٨) ، **وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»، والغادر: الذي يواعد على أمر ولا يفي به.** (صحيح مسلم: ٣ / ١٣٥٩)

وأورد البيهقي في شعب الإيمان: (الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ بَابٌ فِي الْإِيفَاءِ بِالْعُقُودِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] وَقَالَ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] وَقَالَ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] " يَعْنِي مَا أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَقْدِ إِحْرَامِهِمْ ". وَقَالَ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٦] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ ». (شعب الإيمان: ٦ / ١٨٨)

قَالَ الْحَلِيمِيُّ ﵀: " فَكُلُّ مَنْ عَقَدَ عَقْدًا مِنَ الْعُقُودِ الَّتِي أَثْبَتَتْهَا الشَّرِيعَةُ، وَجَعَلَتْ لَهَا حُكْمًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْعَبْدِ، أَوْ بَيْنَ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ من بَعْضٍ، فَصَحَّ ذَلِكَ مِنْهُ، وَانْعَقَدَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَفِي بِهِ. فَذَكَرَ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ عَقْدَ الْإِسْلَامِ وَتَقَبُّلَهُ ثُمَّ عَقْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، ثُمَّ عَقْدَ الصَّوْمِ الْمَفْرُوضِ، ثُمَّ عَقْدَ الْإِحْرَامِ، ثُمَّ نَذْرَ مَا يَكُونُ طَاعَةً، (شعب الإيمان: ٦ / ١٩٠)

وعَنِ ابن عباس ﵄ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ " يَعْنِي بِالْعُهُودِ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَمَا حَرَّمَ، وَمَا فَرَضَ، وَمَا حَدَّ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ "، وعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: بَلَغَنَا وَاللهُ أَعْلَمُ أنه الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ عُهِدَ إِلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ فِيمَا أَمَرَهُمْ، مِنْ طَاعَتِهِ، أَنْ يَعْلَمُوا بِهَا، وَنَهْيِهِ، الَّذِي نَهَاهُمْ عَنْهُ وَبِالْعَهْدِ، الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيمَا يَكُونُ مِنَ الْعُهُودِ بَيْنَ النَّاسِ) (شعب الإيمان: ٧ / ٤٣١)

ويقول الشاعر أحمد تقي الدين:

حفظُ العهودِ مزيَّتي ... والصدقُ في طيِّ الضمائر
ليس التقلُّبُ شِيمتي ... كالبعض يبقى الدهرَ حائر
غيري يودُ الإحتيالَ ... وقلبُه بالعهدِ غادر
يأتي إليكَ مملِّقًا ... لكنّه إن غابَ ماكر
لكنَّ قلبي صادقٌ ... حرٌّ لعهدِ الحبِّ ذاكر

– وقال الشاعر حنا الأسعد:

وهل أنثني عن حفظ عهدٍ لمهجَتي ... وحفظُ الولا والعهد دأبي وشِيمَتي
فإني على حفظِ العهودِ لثابتٌ ... ولم اتَّصفْ عمري بنقصِ المُروءةِ

قيمة السَّلام

كما يحتاج الخائضون في غمار العمل والتنمية وتحقيق النهضة للشعوب إلى الأمان على عقودهم ومعاملاتهم من خلال الوفاء بها ،فهم _أيضاً_ في حاجة إلى أمان على نجاحاتهم وإنجازاتهم على الأرض، سواء عند تنفيذها أو بعد تحققها على أرض الواقع، ولا يكون ذلك إلا بتوافر الأمن، وشيوع ثقافة السلام داخل المجتمع، السلام بين الأفراد، والسلام بين المكونات، والسلام بين السلطة والمجتمع، والسلام مع الشعوب الأخرى، فالعنف والخوف عَدُّوان للتنمية والبناء، بل عَدُّوان للوجود الإنساني، ولذا كان السَّلامُ في الإسلام وسيلة وغاية، خلق وقانون، عبادة ومعاملة، بل دستور تقوم وتنتظم به الحياة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، (أي في أحكامه كلها التي أساسها الاستسلام والخضوع لله والإخلاص له، ومن أصوله الوفاق والمسالمة بين الناس وترك الحروب بين المهتدين بهديه) . تفسير المراغي (٢ / ١١٤) ، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾ [الزخرف: ٨٨، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) [النساء: ٧٧]، قال الإمام المراغي﵀: (ذكر هنا أن الإسلام كلفهم ترك ما كانوا عليه في الجاهلية من تخاصم وتلاحم وحروب مستمرة، ولا سيما بين قبيلتى الأوس والخزرج، فإن الحروب بينهم لم تنقطع إلا بمجيء الإسلام، وأمرهم بكف أيديهم عن القتال والعدوان على غيرهم، وطلب إليهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لما فيهما من تهذيب النفوس والعطف والرحمة حتى خمدت من نفوس كثير منهم حمية الجاهلية، وحل محلها شريف العواطف الإنسانية) (تفسير المراغي: ٥ / ٩٤)

وقال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ

هَـذَا الْبَيْـتِ (٣) الّـذِي أَطْعَمَهُـمْ مِـنْ جُـوعٍ وَآمَنَهُـمْ مِـنْ خَـوْفٍ (٤)﴾ [قريش:١-٤]، قال الإمام ابن عاشور ﷺ: (تَذْكِيرًا لَهُمْ بِنِعْمَةِ أَنَّ اللَّهَ مَكَّنَ لَهُمُ السَّيْرَ فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ بِرِحْلَتَيِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ لَا يَخْشَوْنَ عَادِيًا يَعْدُو عَلَيْهِمْ وَبِأَنَّهُ أَمَّنَهُمْ مِنَ الْمَجَاعَاتِ وَأَمَّنَهُمْ مِنَ الْمَخَاوِفِ) (التحرير والتنوير: ٣٠ / ٥٥٤)

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعمُ الطعامَ وتَقرأُ السَّلامَ على من عَرفتَ ومن لمْ تَعرف» (صحيح مسلم: ١/ ٦٥رقم: ٣٩)، وسَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (صحيح مسلم: ١ / ٦٥)، (صحيح البخاري: ٨ / ١٠٢) ، وعَنْ أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (صحيح مسلم: ٤ / ١٩٩٧)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، عن رسول الله، قَالَ: أنه كَانَ يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ كَمَا يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ: «اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ» ، وعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (صحيح مسلم: ١ / ٤١٤) ، وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» (سنن الترمذي ت شاكر: ٤ / ٥٧٤)

– وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، «فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ» (أخرجه البخاري ومسلم)، وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عن أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا» . (صحيح مسلم: ٣ / ١٣٥٧)

وعَنْ أبي هريرة ﷺ، قَالَ: جَاءَتِ الْأَنْصَارُ (يقصد يوم الفتح) فَأَحَاطُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الصَّفَا فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَقَالَ: «مَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ , وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ , وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ , وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ قَوْلَهُ: « مَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ » (السنن الكبرى للبيهقي: ٩ / ١٩٩) ، وكان مما أوصى به الخليفة أبو بكر ﷺ جيش أسامة قوله: (يا أيها

الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني، لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرًا إلا لمأكلة). (تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٢٤٦)

ويقول الشيخ سيد سابق ﷺ تحت عنوان السلام في الإسلام: (إن السلام مبدأ من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، فأصبحت جزءً من كيانهم، وعقيدة من عقائدهم ، فلقد صاح الإسلام – منذ طلع فجره، وأشرق نوره – صيحته المدوية في آفاق الدنيا، يدعو إلى السلام، ويضع الخطة الرشيدة التي تبلغ بالإنسانية إليه وكثرة تكرار هذا اللفظ – السلام – على هذا النحو، مع إحاطته بالجو الديني النفسي، من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها، ويوجه الأفكار والأنظار إلى هذا المبدأ السامي العظيم). (فقه السنة: ٢ / ٥٩٥)

لن نعيش بغير وطن ، ولن نستقر من غير سلام ، فالسلام خبز الحياة الذي نأكل منه، وهو زادنا الوحيد في قافلة التنمية، وصيفنا الممطر بالسِّلم بعد شتاء الحروب القارس، فربنا المؤمن السَّلام، يهدي إلى سُبل السَّلام ويدعو إلى دار السَّلام، ويجزينا دار السَّلام، وتحيته يوم يلقانا ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[الرعد:٢٤] ، وديننا دين الإسلام والسَّلام ، تحيتنا فيه سَلام ، وإعراضنا فيه سَلام ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[القصص:٥٥] ، وأمرنا فيه سَلام ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[الأنفال:٦١]، ونهينا فيه سَلام ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[النساء:٩٤] ، ودعوتنا له كلها خيرٌ وسَلامٌ ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾[البقرة:٢٠٨]، ورسل الأرض والسماء عليهم السَّلام ؛ دعاةُ سِلمٍ وسَلام ، و رسول الأرض يلقى أنصاره بالسَّلام﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عليْكُم ﴾، ويُلقي في أعداءه السَّلام ﴿فَاصْفَح عنْهُم وقل سَلام﴾ ، ورسل الموت تتوفانا في سَلام﴿ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ﴾[النحل:٣٢] ، وخزنة الجنة تستقبلنا على أبوابها بهتافات السَّلام﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[الزمر:٧٣] ، وأعظم ليلة في دهرنا ينادى علينا فيها كل عام﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[القدر:٥] .

قال أبو فراس الحمداني:

فَإِن تَرغَبوا في الصُلحِ فَالصُلحُ صالِحٌ وَإِن تَجنَحوا لِلسِلمِ فَالسُلمُ أَسلَمُ

قيمة سيادة الحق

لزوم سيادة الحق، وقانون الشريعة، وتوافر القضاء العادل، شرطٌ لازم لنجاح الأفراد المؤسسات في أداء عملها ونجاح خططها، فاللوائح والقوانين المنظمة عقل العمل المؤسسي وزمامه، كما أن الحق والقانون والقضاء هما الحسيب والرقيب والموجه لكل العهود والمواثيق المنظمة للعلاقات والالتزامات بين الأطراف بما يحقق المصلحة للجميع، حتى لا يقع فيها حَيفٌ وظلمٌ على طرف لحساب الآخر، فيتعسر معها الالتزام والوفاء بما يفضى للفشل والنكوث، كما أنها العصا الغليظة والعقاب الرادع على كل ناقضٍ للعقود، ومضيعٍ لمصالح العباد وحقوق الناس، كما أن الحق والقانون والقضاء ضامنٌ لتحقق الأمن والسلام في المجتمع وراعٍ لهما، واقتران القانون بالحق والقضاء لازمٌ حتى يسود، فالحق أساس التشريع لكل قانون، والقضاء يده وعصاه .

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء : ٥٩]

وقال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النساء : ٦٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب : ٣٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [المائدة : ٤٨]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] ، يقول الإمام ابن عاشور ﷺ: (فَكُلُّ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ حَقًّا فِي كِتَابِهِ فَقَدْ أَمَرَ بِالْحُكْمِ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ، .. وَالْمُرَادُ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ لِيَحْكُمَ بِالطُّرُقِ وَالْقَضَايَا الدَّالَّةِ عَلَى وَصْفِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْعَدْلُ فَيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، بِأَنْ تَنْدَرِجَ جُزْئِيَّاتُ أَحْوَالِهِمْ عِنْدَ التَّقَاضِي تَحْتَ الْأَوْصَافِ الْكُلِّيَّةِ الْمُبَيَّنَةِ فِي الْكِتَابِ) (التحرير والتنوير: ٥ / ١٩٢)

ومما ورد عن النبي ﷺ في لزوم سيادة الحق ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ، الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِ؟ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «أَسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ» ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: " وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ " (صحيح البخاري: ٣ / ١١١)

وعن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تَمْنَعُوا نِساءَكُمُ المَساجِدَ إذا اسْتَأْذَنَكُمْ إلَيْها قالَ: فقالَ بلالُ بنُ عبدِ اللهِ: واللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قالَ: فأقبَلَ عليه عبدُ اللهِ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا ما سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وقالَ: أُخْبِرُكَ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وتقُولُ: واللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ». (رواه مسلم) ، وعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «القُضَاةُ ثَلاَثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَذَلِكَ فِي الجَنَّةِ » (سنن الترمذي وصححه الألباني: ٣ / ٦٠٥)

وما ورد عن الراشدين في لزوم سيادة الحق، ما قاله أبوبكر الصديق ﷺ عند توليه الخلافة: (أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولَه، فإذا عصيتُ اللهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عَليكُم) (إسناد صحيح /البداية والنهاية: ٢٤٨/٥)، وعن ابن عباس ﷺ قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحُرُّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر.. فقال عُيينة لابن أخيه: (يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه)، قال: (سأستأذن لك عليه)، قال ابن عباس ﷺ فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: (هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل)، فغضب عمر حتى هم به. فقال له الحُرُّ: (يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه :﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله. (رواه البخاري)

وعن عمرو بن مهاجر أن عمر بن الخطاب ﷺ لما استُخْلفَ قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:(أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ، ألا وإني لست بفارض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، ولست بخير من أحدكم ولكني أثقلكم حملًا،

وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق). (تاريخ الخلفاء: ٢٠١)، **وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: (فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع، تكلم بحق لا نفاذ.. ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل)** (إعلام الموقعين: ٨٦/١)

ومما ورد عن التابعين في لزوم سيادة الحق، قول الشَّافِعِيّ ﷺ: (مَا كَابرَنِي أَحَدٌ عَلَى الحَقّ، وَدَافَعَ إِلَّا سَقَطَ مِنْ عَيْنِي، وَلاَ قَبِلَهُ إِلَّا هِبْتُهُ، وَاعتقَدْتُ مَوَدَّتَهُ). (سير أعلام النبلاء ط الحديث: ٨ / ٢٤٧) ، **وعن عبد الرحمن بن مهدي، قال: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن، وهو على القضاء، فلما وضع السرير جلس، وجلس الناس حوله، قال: فسألته عن مسألة، فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله، القول في هذه المسألة كذا وكذا، إلا أني لم أرد هذه، إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: (إذا أرجع وأنا صاغر إذا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنبًا في الحق، أحب إلي من أن أكون رأسًا في الباطل).** (تاريخ بغداد ت بشار: ١٢ / ٧)

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: عن شريعة الحق والعدل: (وَاَللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا أَنْ يَكُونَ فِي شَرْعِهِ تَنَاقُضٌ وَاخْتِلَافٌ، فَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، بَلْ هِيَ شَرِيعَةٌ مُؤْتَلِفَةُ النِّظَامِ، مُتَعَادِلَةُ الْأَقْسَامِ، مُبَرَّأَةٌ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، مُطَهَّرَةٌ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا، مُؤَسَّسَةٌ عَلَى الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْمَصْلَحَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَوَاعِدُهَا وَمَبَانِيهَا، إذَا حَرَّمَتْ فَسَادًا حَرَّمَتْ مَا هُوَ أَوْلَى مِنْهُ أَوْ نَظِيرَهُ، وَإِذَا رَعَتْ صَلَاحًا رَعَتْ مَا هُوَ فَوْقَهُ أَوْ شِبْهَهُ؛ فَهِيَ صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا أَمْتَ فِيهِ وَلَا عِوَجَ، وَمِلَّتُهُ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ الَّتِي لَا ضِيقَ فِيهَا وَلَا حَرَجَ، بَلْ هِيَ حَنِيفِيَّةُ التَّوْحِيدِ سَمْحَةُ الْعَمَلِ، لَمْ تَأْمُرْ بِشَيْءٍ فَيَقُولُ الْعَقْلُ لَوْ نَهَتْ عَنْهُ لَكَانَ أَوْفَقَ، وَلَمْ تَنْهَ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ الْحِجَا لَوْ أَبَاحَتْهُ لَكَانَ أَرْفَقَ، بَلْ أَمَرَتْ بِكُلِّ صَلَاحٍ، وَنَهَتْ عَنْ كُلِّ فَسَادٍ، وَأَبَاحَتْ كُلِّ طَيِّبٍ، وَحَرَّمَتْ كُلِّ خَبِيثٍ، فَأَوَامِرُهَا غِذَاءٌ وَدَوَاءٌ، وَنَوَاهِيهَا حِمْيَةٌ وَصِيَانَةٌ، وَظَاهِرُهَا زِينَةٌ لِبَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا أَجْمَلُ مِنْ ظَاهِرِهَا، شِعَارُهَا الصِّدْقُ، وَقِوَامُهَا الْحَقُّ، وَمِيزَانُهَا الْعَدْلُ، وَحُكْمُهَا الْفَصْلُ، لَا حَاجَةَ بِهَا أَلْبَتَّةَ إِلَى أَنْ تُكَمَّلَ بِسِيَاسَةِ مَلِكٍ أَوْ رَأْيِ ذِي رَأْيٍ أَوْ قِيَاسِ فَقِيهٍ أَوْ ذَوْقِ ذِي رِيَاضَةٍ أَوْ مَنَامِ ذِي دِينٍ وَصَلَاحٍ، بَلْ لِهَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَمَنْ وُفِّقَ لِلصَّوَابِ فَلِاعْتِمَادِهِ وَتَعْوِيلِهِ عَلَيْهَا). (إعلام الموقعين عن رب العالمين: ٣ / ١٦٢)

ويقول (صاحب المنار) محمد رشيد رضا ﷺ: ((الْأَصْلُ السَّابِعُ) هِدَايَةُ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ بِهِ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ خِيَارَ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ...، وَخِيَارَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ..، فَهَذَا مِنْ أُصُولِ دِينِ اللهِ الْعَامَّةِ فِي جَمِيعِ شَرَائِعِهِ. وَالْحَقُّ هُوَ الْأَمْرُ الثَّابِتُ الْمُتَحَقِّقُ فِي الشَّرْعِ إِنْ كَانَ شَرْعِيًّا، وَفِي الْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ إِنْ كَانَ أَمْرًا وُجُودِيًّا، وَالْعَدْلُ مَا تُحِرِّيَ بِهِ الْحَقُّ مِنْ غَيْرِ مَيْلٍ إِلَى طَرَفٍ مِنَ الطَّرَفَيْنِ أَوِ الْأَطْرَافِ الْمُتَنَازِعَةِ فِيهِ أَوِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ. وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَصْلِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالتَّضْحِيَةُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ.

وَمِنْهُ الْأَمْرُ بِالْعَدْلِ الْمُطْلَقِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأَعْمَالِ بِقَوْلِهِ: قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ الْعَامُّ لِجَمِيعِ الْأَحْكَامِ بَيْنَ النَّاسِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ الْمَدَنِيَّةِ إِذْ صَارَ لِلْأُمَّةِ حُكْمٌ وَدَوْلَةٌ: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ وَفِي سُورَةِ النِّسَاءِ وَالْمَائِدَةِ آيَاتٌ أُخْرَى فِي وُجُوبِ عُمُومِ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ فِيهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ مَعَ تَفْسِيرِهَا. فَمَنْ تَحَرَّى الْعَدْلَ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ وَعَرَفَ مَكَانَهُ فَحَكَمَ بِهِ، كَانَ حَاكِمًا بِحُكْمِ اللهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى نَصٍّ خَاصٍّ فِي الشَّرِيعَةِ بِهِ، فَإِنْ وَجَدَ النَّصَّ كَانَتِ الثِّقَةُ بِالْعَدْلِ أَتَمَّ بَلْ لَا حَاجَةَ مَعَ النَّصِّ إِلَى الِاجْتِهَادِ، كَمَا أَنَّ الِاجْتِهَادَ الْمُخَالِفَ لِلنَّصِّ الْخَاصِّ أَوْ لِلْعَدْلِ الْعَامِّ بَاطِلٌ). (تفسير المنار: ٩ / ٤٧٧)

وقال الشاعر (يوسف النبهاني) عن صاحب الشريعة ﷺ:

يَدَّعي هَذِهِ الرِسالَةَ حَقّاً ... وَعَلَيها جَميعُهُم شُهَداءُ
شَرعُهُ البَحرُ والشَرائِعُ تَجري ... مِنهُ إِمّا جَداوِلٌ أَو قِناءُ
أَعدَلُ الخَلقِ ما لَهُ في اِتِّباعِ ال ... حَقِّ في كُلِّ أُمَّةٍ عُدَلاءُ
أَعرَفُ الكُلِّ بِالحُقوقِ وَلا تَث ... نيهِ عنها الأَهوالُ وَالأَهواءُ

وقال أحمد شوقي:

لَولا مَواهِبُ في بَعضِ الأَنامِ لَما ... تَفاوَتَ الناسُ في الأَقدارِ وَالقِيَمِ
شَريعَةٌ لَكَ فَجَّرتَ العُقولَ بِها ... عَن زاخِرٍ بِصُنوفِ العِلمِ مُلتَطِمِ
يَلوحُ حَولَ سَنا التَوحيدِ جَوهَرُها ... كَالحَلي لِلسَيفِ أَو كَالوَشيِ لِلعَلَمِ

قيمة المساءلة

المساءلة بما تتضمنه من رقابة ومحاسبة واجبة، تمثل صمام الأمان، وضمان الفاعلية لكل القيم المرتبطة بعمارة الأرض، فالمسؤولية بما تستوجبه من صلاحياتوما يلزمها من الطاعة تُمكِّن كل فرد في المجتمع من القيام بأداء دوره مباشرة، أو من خلال من يديرهم من أفراد وأجهزة،فالرقابة والمحاسبة (المساءلة) تحمل كل مسؤول على القيام بواجبه دون تقصير أو إهمال خوفًا من الوقوع في المحظور الموجب للعقوبة، كما أن المسؤولية توجه _الفرد أو المجتمع_ نحو استدراك النقص، وتحسين الأداء، ومعالجة الأخطاء، وتطوير الخطط والأنظمة والقوانين، وتأهيل العاملين والمؤسسات بما يدفع عجلة التنمية، ويرتقي بجهود الصالحين في عمار الأرض، وإرضاء الخالق جل في علاه.

قال الله تعالى في المحاسبة الكبرى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾. [الأعراف: ٦] ، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام، وهو يحاسب أخاه هارون بعد أن أنابه عنه في قيادة قومه: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا - أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي - قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٧]، وحكى عن رقابة سليمان لانضباط جنده: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠_ ٢١]

وبيَّنَ وجوب الطاعة والانضباط فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

قال سيد قطب ﷺ في: (فها هو ذا الملك النبي سليمان في موكبه الفخم الضخم، ها هو ذا يتفقد الطير فلا يجد الهدهد، ونفهم من هذا أنه هدهد خاص، معين في نوبته في هذا العرض، وليس هدهدًا ما من تلك الألوف أو الملايين التي تحويها الأرض من أمة الهداهد . كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم، فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير، الذي يجمع آخره على أوله كي

لا يتفرق وينتكث).في ظلال القرآن (٥ / ٢٦٣٨) ، وفي المسؤولية العامة، ورد عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: – وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ – «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (صحيح البخاري: ٢ / ٥)

وفي المحاسبة للوظائف العامة، أورد البخاري في صحيحه (بَابُ مُحَاسَبَةِ الْإِمَامِ عُمَّالَهُ) عن أبي حميد الساعدي: أن رسول الله ﷺ استعمل عاملًا فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال يا رسول الله: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقال له عليه الصلاة والسلام: «أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا»، ثم قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصلاة فتشهد، وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: « أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يهدى له أم لا، فوالذي نفس محمد بيده لا يغل أحدكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بعيرًا جاء به له رغاء، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار، وإن كانت شاة جاء بها تيعر .. ألا قد بلغت» (الجامع الصحيح: ٦/ ٢٤٤٦رقم: ٦٢٦٠)، (صحيح مسلم ٣/ ١٤٦٣رقم: ١٨٣٢)

قَالَ الْمُهَلَّبُ: (حَدِيثُ الْبَابِ أَصْلٌ فِي مُحَاسَبَةِ المؤتمن وَأَن المحاسبة تَصْحِيح أَمَانَته) (فتح الباري لابن حجر: ٣ / ٣٦)، ونقل الإمام ابن بطال ﷺ في شرح هذا الحديث: (هذا الحديث هو أصل فعل عمر بن الخطاب ﷺ في مقاسمته العمال، وإنما فعل ذلك لما رأى ما نالوه من كثرة الأرباح، وعلم أن ذلك من أجل سلطانهم، وسلطانهم إنما كان بالمسلمين، فرأى مقاسمة أموالهم نظرًا للمسلمين واقتداءً بقول النبي (ﷺ) : «أفلا جَلسَ في بيت أبِيه، وأمه فَيرى أَيهُدىَ له شيءٌ أم لا» . ومعناه أنه لولا الإمارة لم يهد إليه شيء . (شرح البخاري لابن بطال: ٣ / ٥٥٧)

وأما في المحاسبة للقادة والولاة، فقد ورد عن أسامة بن زيد ﷺ قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية.. فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ :«أقالَ لا إله إلا الله وقَتلتَهُ؟» قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شَقَقتَ عن قَلبِه حتى تَعلمَ أقالَها أمْ لاَ»، فما زال يكررها عليَّ، حتى تمنيت أني أسَلمتُ يوَمئذ. (صحيح مسلم :١/ ٩٦رقم: ٩٦)

وورد عن أنس بن مالك ﷺ قال: "كنا عند عمر بن الخطاب ﷺ إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: "يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك"، قال: "وما لك؟ "، قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت ، فلما ترآها الناس، قام محمّد ولد عمرو بن العاص فقال: "فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منه عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إليّ يضربني بالسوط، ويقول: "خذها وأنا ابن الأكرمين". قال: فوالله ما زاده عمر أن قال له: "اجلس، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمّد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: "أحدثت حدثاً؟ أجنيت جناية؟ "، قال: "لا"، قال: "فما بال عمر يكتب فيك؟ "، قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه؟، فإذا هو خلف أبيه، قال: "أين المصري؟ "، قال: "ها أنا ذا"، قال: "دونك الدّرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين قال فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أدرها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: "يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربني"، قال: "أما والله لو ضربته ما حُلنا بينكَ وبينَهُ حتى تكون أنت الذي تدعه، يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ "، ثم التفت إلى المصري فقال: "انصرف راشداً، فإن رَابكَ رَيبٌ فاكتبْ إليّ".

(محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: ٢ / ٤٧٢)

وَعَن أَبِي بكرَة وقف أَعْرَابِي عَلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ عمر بْن الخطاب ﷺ فَقَالَ: (يَا عمر الْخَيْر جزيت الْجنَّة ... أكس بنياتي وأمهنه) (أقسم بِاللَّه لتفعلنه ...)، فَقَالَ عمر: وَإِن لم أفعل يكون مَاذَا؟، فَقَالَ:(إِذاً أَبَا حَفْص لأمضينه ...)، قَالَ فَإِن مضيتَ يكون مَاذَا؟، قَالَ :(وَالله عَنْهُن لتُسألنَّه ... يَوْم تكون الأعطيات منة)، (والواقف الْمَسْئُول بينهنه ... إِمَّا إِلَى نَار وَإِمَّا جنة)، فَبكى عمر حَتَّى اخضلت لحيتَه، وَقَالَ:(لغلامه يَا غُلَام أعْطه قَمِيصِي هَذَا لذَلِك الْيَوْم لَا لشعره) (مختصر تاريخ دمشق: ١٩ / ١٢)

قيمة رعاية البيئة

بقدر ما يقوم العمران والإصلاح الشامل على العمل، وما يتبعه من الجهاد، فإنه يقوم على حماية البيئة والمحافظة على أحياءها ومواردها، فالبيئة ومواردها رأس المال الذي تستثمره الأمم في نهضتها، وإفساد هذه الموارد أو إهمالها كفران لنعمة الله موجب لسقوط الأمم، والحماية للبيئة بما فيها من أحياء وثروات تكون بحفظها من الفساد والتلوث والنهي عن الإسراف فيها، أو العبث بها، أو سوء استغلالها، أو تشويهها، أو الانحراف بها عن طبيعتها، كما يكون بتنميتها وإصلاحها والإحسان فيها وإحياء الموات منها.

نهى الله تعالى عن إفساد الأرض، فقال: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] (والْحَرْثُ هَنَا مُرَادٌ مِنْهُ الزَّرْعُ، وَالنَّسْلُ أَطْفَالُ الْحَيَوَانِ ،وقال الضحاك: معناه لا تغوروا الْمَاءَ الْمَعِينَ، وَلَا تَقْطَعُوا الشَّجَرَ الْمُثْمِرَ ضِرَارًا ، وإِهْلَاكَ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ كِنَايَةٌ عَنِ اخْتِلَالِ مَا بِهِ قِوَامُ أَحْوَالِ النَّاسِ، وَكَانُوا أَهْلَ حَرْثٍ وَمَاشِيَةٍ). (التحرير والتنوير: ٢ / ٢٧٠) .

وقال الدكتور محمد علي الصابوني ﷾: (أي يهلك الزرع وما تناسل من الإنسان، والحيوان ومعناه أن فساده عام يشمل الحاضر والباد، فالحرث محل نماء الزروع والثمار، والنسل وهو نتاج الحيوانات التي لا قوام للناس إلا بهما، فإفسادهما تدمير للإنسانية) (صفوة التفاسير: ١ / ١١٩) ، ونهى عن الإسراف في الموارد، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابن عباس ﷺ: (كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ خَصْلَتَانِ: سَرَفٌ ومَخِيلةٌ). (تفسير ابن كثير، ت. سلامة ٣ / ٤٠٦)

ونهى عن تلويث الموارد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لايَبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الدائم، ولا يغتسلْ فيه من الجَنابة». (أصله في الجامع الصحيح، ٩٤/١، رقم :٢٣٦)، و (في صحيح مسلم ١ / ٢٣٥ رقم: ٢٨٢)، وعن معاذ بن جبل ﷺقال: قال رسول الله ﷺ : « اتَّقوا الملاعنَ الثلاثَ : البَرازُ في الموارِدِ ، و قارِعَةِ الطَّريقِ ، و الظِّلِّ» (سنن أبي داود، قال الشيخ الألباني: حسن، ١ / ٥٤ رقم: ٢٦)، وحضَّ على

رعاية الموارد الزراعية، فَعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبْشِيٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ " رواه أبو داوود.

قال أبو داود: (يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار). (سنن أبي داود ،قال الشيخ الألباني: صحيح :٢ / ٧٨٢، رقم: ٥٢٣٩)

– وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» مسند أحمد ط. الرسالة ت شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون (٢٠ / ٢٥١)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا، فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» (صحيح البخاري: ٨ / ١٠) ، وحضَّ على رعاية الموارد الحيوانية، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ،عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ» (ورعامها هو ما يجري من أنفها من المخاط) (صحيح البخاري: ٤ / ١٩٨)

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها، إلا سأله الله عز وجل عنها» قيل: يا رسولَ الله و ما حَقُّها ؟ قال: «يَذبَحُها فَيأكُلُهَا ولا يقطع رأسهَا يرمي به». (رواه النسائي)، وعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: «لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ» (صحيح مسلم) ، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» (متفق عليه)

وعَنْ أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» (متفق عليه) (الركية) البئر ، (البَغي) الزانية. (موقَها) ما يلبس فوق الخف .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قرصت نملةٌ نبيًا من الأنبياء فأمرَ بقريةِ النَّملِ فأُحرقت، فأوحى الله إليه، أن قرصتك نملةٌ أحرقتَ أمةً من الأمم تُسبح». (متفق عليه)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لولا أن الكلابَ أمةٌ من الأممِ لأمرتُ بقتلِها »(رواه أصحاب السنن الأربعة٩٤٠)

قال الإمام أبو سليمان الخطابي ﷺ: (معناه أنه كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق حتى يأتي عليه كله، فلا يبقي منه باقية لأنه ما من خلقٍ لله تعالى إلاّ وفيه نوعٌ من الحكمة،

وضَربٌ من المصلحة. يقول: إذا كان الأمر على هذا، ولا سبيل إلى قتلهن كلهن فاقتلوا شِرارَهن). (معالم السنن: ٤ / ٢٨٩) ، وحرص الراشدون على رعاية الموارد، فأورد الإمام البخاري﵀ في صحيحه: (بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا وَرَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ فِي أَرْضِ الخَرَابِ بِالكُوفَةِ كانت مَوَاتا وَقَالَ عُمَرُ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ» وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) البخاري (٣ / ١٠٦)

ومما أوصى به الخليفة أبو بكر ﵁ جيش أسامة قوله: (يا أيها الناس قفوا أوصكم بعشر، لا تعقروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة). (تاريخ الأمم والملوك:٢ / ٢٤٦)

وقال ابن عاشور ﵀: (ذكرهم الله بِتَرْكِ الْإِفْسَادِ لِيَكُونَ صَلَاحُهُمْ مُنَزَّهًا عَنْ أَنْ يُخَالِطَهُ فَسَادٌ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ أَفْسَدُوا مَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةً وَأَفْسَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ الْإِفْسَادِ .. وَالْإِفْسَادُ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الْأَرْضِ هُوَ إِفْسَادٌ لِمَجْمُوعِ الْأَرْضِ.. والْأَرْضَ خُلِقَتْ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهَا عَلَى صَلَاحٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] أي عَلَى نِظَامٍ صَالِحٍ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ، وَبِخَاصَّةِ الْإِنْسَانُ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَخَلَقَ لَهُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَعَزَّزَ ذَلِكَ النِّظَامَ بِقَوَانِينَ وَضَعَهَا اللَّهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالْحُكَمَاءِ مِنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَيَّدَهُمْ بِالْوَحْيِ وَالخطاب ﵁ الْإِلَهِيِّ، أَوْ بِالْإِلْهَامِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْحِكْمَةِ، فَعَلَّمُوا النَّاسَ كَيْفَ يَسْتَعْمِلُونَ مَا فِي الْأَرْضِ عَلَى نِظَامٍ يَحْصُلُ بِهِ الِانْتِفَاعُ بِنَفْعِ النَّافِعِ وَإِزَالَةِ مَا فِي بعض النَّافِعِ مِنَ الضُّرِّ وَتَجَنُّبِ ضُرِّ الضَّارِّ، فَذَلِكَ النِّظَامُ الْأَصْلِيُّ، وَالْقَانُونُ الْمُعَزِّزُ لَهُ، كِلَاهُمَا إِصْلَاحٌ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ إِيجَادُ الشَّيْءِ صَالِحًا، وَالثَّانِي جَعْلُ الضَّارِّ صَالِحًا بِالتَّهْذِيبِ أَوْ بِالْإِزَالَةِ) (التحرير والتنوير: ٨ / ١٧٣)

قال الشاعر معتز علي القطب:

الأرضُ تصرخُ.. مَن يأتي يساندُها ... بالفِعل لا القولِ، حالاً يبدأُ العَملا
تعالَ ننقذُ ما يحيا بتُربتها ... حتى نعودَ ونُثريها بما فضَلا
قد كان يغبِطنا إثراءُ كوكبنا ... ويسعدُ النَّفسَ والأطفالَ والرَّجُلا
ذاك التنوُّعُ من إبداعِ خالِقنا ... تمزّقُ القلبَ ذكراهُ إذا أَفَلا

قيمة الجمال

يجسد الجمال بما يحمله من معنى النظافة والأناقة والتفنن مظهر للرقي والتمدن الذي وصلت إليه أي أمة أو شعب من الشعوب أو ما كانت عليه قبل أن تنخر فيها الأمراض الاجتماعية وسواها والتي أحالتها للسقوط،، فالأمة كلما كانت أقرب للبداوة والتخلف كانت أبعد عن مظاهر الأناقة والجمال والتفنن وارتبطت بالتبلد والجلافة وقلت أو انعدمت فيها الفنون، وكلما ارتقت الأمة في الذوق والتحضر كلما ارتقت حواسها وأخلاقها وتعاملاتها واحتياجاتها وعلومها وفنونها وعنت بالجماليات وما ارتبط بها من وجوه النظافة الشخصية والعامة ونزعت لمختلف الفنون المعبرة عن ثقافتها وتقاليدها، ورقت أحاسيسها ومشاعرها تجاه كل شيء ظاهرا كان أو باطنا وترقى معها تعبيراتها عن هذه الأشياء .

قال تعالى: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [المدثر: ٤] وقال تعالى في أهل المساجد: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) [التوبة ١٠٨]، وفي ارتباط الطهارة المادية والمعنوية وتنوع وسائلها وحالاتها قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة : ٦]

وقال تعالى في اجتناب الأذى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى في التزين: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ) [الأعراف ٣١]، وقال في ارتباط زينة الظاهر والباطن: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف ٢٦]

قال الإمام الألوسي رحمه الله: (وريشا أي زينة وجمالا في الظاهر والباطن) ، وقال الإمام أبو السعود: (وريشاً: أي لباسا تتجملون به). روح المعاني ج٨ ص١٢٩ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج ٣ ص٢٢٢

وقال تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [االنحل: ٨] قال قتادة ﷺ: جعلها لتركبوها وجعلها زينة لكم. الدر المنثورج٥ص١١١

وقال تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الملك: ٥].

وفي لزوم النظافة الخاصة ورد عن ابن عباس ﷺ قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر–يستبرئ– من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ». رواه الشيخان، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (من كان له شعر فليكرمه). سنن أبي داود بتحقيق محمد محي الدين وقال الألباني : حسن صحيح ج٢ص٤٧٥رقم ٤١٦٣، وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَبِيٍّ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ» البخاري (١ / ٥٤)

وعَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِحْدَانَا تَحِيضُ فِي الثَّوْبِ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: «تَحُتُّهُ، ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ، وَتَنْضَحُهُ، وَتُصَلِّي فِيهِ» صحيح البخاري (١ / ٥٥) ، وعن عائشة قال الرسول ﷺ«عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء–يعني الاستنجاء– قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة». الاستنجاء (والبراجم) عقد الأصابع ومفاصلها كلها. صحيح مسلم ج ص٢٢٣ رقم٢٦١

وأورد البخاري في بَابُ سِوَاكِ الرَّطْبِ وَاليَابِسِ لِلصَّائِمِ (ويذكر عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ «يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ» مَا لاَ أُحْصِي أَوْ أَعُدُّ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ» وَيُرْوَى نَحْوُهُ عَنْ جَابِرٍ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَخُصَّ الصَّائِمَ مِنْ غَيْرِهِ وَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» صحيح البخاري بتحقيق محمد زهير (٣ / ٣١).

وفي النظافة العامة ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».صحيح مسلم ج١ ص٦٣ رقم٣٥، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي على طريق وجد غصن شوك فقال لأرفعن هذا لعل الله عز وجل يغفر لي به فرفعه فغفر الله له به وأدخله الجنة».مسند

أحمد ج٢ ص ٤٨٥ رقم ١٠٢٩٤

وفي اللهو ورد عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ: «دَعْهُمَا» ، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا. وفي رواية «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ»

وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبِي» صحيح البخاري (٢ / ١٦)

يقول الإمام الغزالي ﵀: (وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص إباحته على أني أقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر والقلوب إذا أكرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلاً ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات .

فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام، فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه .

نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه). إحياء علوم الدين (٢ / ٢٨٧)

وفي شرح السنة للبغوي (٩ / ٤٦) : بَاب إِعْلانِ النِّكَاحِ بِضَربِ الدُّفِّ ، قَالَ: قَالَتِ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ: جاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي

كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَنْدِبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: «دَعِي هَذِهِ، وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ في البخاري. قَالَ الإِمَامُ: إعلانُ النِّكَاح، وَضرب الدفُ فِيهِ مُسْتَحبّ، وَقد رُوِيَ عَنِ الْقَاسِم بْن مُحَمَّد، عَنْ عَائِشَة بِإِسْنَاد غَرِيب، قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ، واجْعَلُوهُ فِي المَسَاجِدِ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ». شرح السنة للبغوي (٩ / ٤٦)

وفي الجمال والتجمل ورد عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ) صححه الألباني– النسائي ت أبو غدة (٧ / ٦١) ، وقال الإمام ابن الجوزي: (كان النبي ﷺ أنظف الناس و أطيب الناس).صيد الخاطر ج١ ص٨ ، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) ، قال رجل: (إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة) قال ﷺ : (إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس). صحيح مسلم ج١ ص٩٣ رقم٩١

قال ابن القيم: (وَالْمَقْصُود أَن هَذَا الحَدِيث الشريف مُشْتَمل على أصلين عظيمين فأوله معرفَة وَآخره سلوك فَيعرف الله سُبْحَانَهُ بالجمال الَّذِي لَا يماثله فِيهِ شَيْء ويعبد بالجمال الَّذِي يُحِبهُ من الْأَقْوَال والأعمال والأخلاق ، فيحب من عَبده أَن يجمل لِسَانه بِالصّدقِ وَقَلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل وجوارحه بِالطَّاعَةِ وبدنه بِإِظْهَار نعمه عَلَيْهِ فِي لِبَاسه وتطهيره لَهُ من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور والمكروهة والختان وتقليم الْأَظْفَار فيعرفه بِصِفَات بالجمال ويتعرف إِلَيْهِ بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة فيعرفه بالجمال الَّذِي هُوَ وَصفه ويعبده بالجمال الَّذِي هُوَ شَرعه وَدينه فَجمع الحَدِيث قاعدتين الْمعرفَة والسلوك) الفوائد لابن القيم (ص: ١٨٦)، وقال كذلك: (وَفصل النزاع أَن يُقَال؛ الْجمال فِي الصُّورَة واللباس والهيأة ثَلَاثَة أَنْوَاع .. فالمحمود مِنْهُ مَا كَانَ لله وأعان على طَاعَة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة لَهُ كَمَا كَانَ النَّبِي يتجمّل للوفود وَهُوَ نَظِير لِبَاس آلَة الْحَرْب لِلْقِتَالِ ولباس الْحَرِير فِي الْحَرْب وَالْخُيَلَاء فِيهِ فَإِن ذَلِك مَحْمُود إِذا تضمّن إعلاء كلمة الله وَنصر دينه وغيظ عدوّه والمذموم مِنْهُ مَا كَانَ للدنيا والرياسة وَالْفَخْر وَالْخُيَلَاء والتوسل إِلَى الشَّهَوَات وَأَن يكون هُوَ غَايَة العَبْد وأقصى مطلبه فَإِن كثيرا من النُّفُوس لَيْسَ لَهَا همّة فِي سوى ذَلِك وَأما مَالا يحمد وَلَا يذم هُوَ مَا خلا عَن هذَيْن القصدين وتجرّد عَن الوصفين) الفوائد لابن القيم (ص: ١٨٥)

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أَجِدُ الثيابَ إذا اكتَسَيتُ فَإِنَّها زينُ الرِجالِ بِها تَعزُّ وَتَكرُمُ
وَدَعِ التَواضُعَ في الثيابِ تَخَشُّعاً فَاللَهُ يَعلَمُ ما تَجِنُّ وَتَكتُمُ
فَرَثاثُ ثَوبِكَ لا يَزيدُكَ زُلفَةً عِندَ الإِلَهِ وَأَنتَ عَبدٌ مُجرِمُ
وَبهاءُ ثَوبِكَ لا يَضُرُّكَ بَعدَ أَن تَخشى الإِلَهَ وَتَتَّقي ما يَحرُمُ

(صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: ١ / ٢٢٩)

وقد أنشدت النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

إحياء علوم الدين (٢ / ٢٧٧)

قيمة الذوق

بقدر ما عُني الإسلام بحفظ الضروريات، والحاجات الأساسية للوجود الإنساني، والتي تمثل ضمانًا لاستقرار المجتمعات وأمنها، والمتمثلة في حفظ (الدين والنفس والعقل والمال والنسل)، فإنه عُني _فوق ذلك_ بحفظ الكماليات التي تصون تلك الضروريات من الاجتراء عليها، وتتجسد الكماليات في مراعاة الآداب العامة، ومحاسن الأخلاق، والتحلي بالذوق العام، واحترام عادات وتقاليد فئات المجتمع المتنوعة، وتقديس خصوصياتهم، وكلما ارتقى المجتمع في مدارج التحضر كلما أخذت هذه الذوقيات والآداب درجة الضروريات في لزوم العناية بها والتزامها، وزادت بالتالي من استقرار المجتمع وتماسكه وتضامنه ونزوعه نحو التنمية والبناء.

قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾. [لقمان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. [الحجرات: ١١]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. [النور: ٢٧]

يقول الشيخ الشعراوي ﷺ: (تكلم الحق – تبارك وتعالى – هنا عن آداب الاستئذان وعن المبادئ والنظم التي تنظم هذه المسألة؛ لأن ولوج البيوت بغير هذه الآداب، ودون مراعاة لهذه النظم يُسبِّب أموراً تدعو إلى الرِّيبة.. فشرْع الله لا يَحرم المجتمع من التلاقي، إنما يضع لهذا التلاقي حدودًاوآدابًا تنفي الرّيْب والشبهة التي يمكن أنْ تأتي في مثل هذه المسائل ..﴿وتَسْتَأْنِسُواْ﴾ من الأُنْس والاطمئنان) (تفسير الشعراوي: ١٦ / ١٠٢٤٤) ، وقال تعالى _أيضًا_ في الذوق والآداب العامة: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [المجادلة: ١١]

قال الإمام الشوكاني ﷺ: (أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِحُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِالتَّوْسِعَةِ فِي الْمَجْلِسِ وَعَدَمِ التَّضَايُقِ فِيهِ. قَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ: كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُمِرُوا أَنْ يُفْسِحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ) (فتح القدير للشوكاني: ٥ / ٢٢٥)

وقال جمهور العلماء: (سببُ نزولِ الآية مجلس النبي ﷺ ثم الحكم مُطَّرِدٌ في سائر المجالس التي هي للطاعات .. وهذا قول مالك ﷺ، وقال: ما أرى الحكم إلاَّ يَطَّرِدُ في مجالس العلم ونحوها غَابِرَ الدهر فالسنة المندوبُ إليها هي التفسُّحُ، والقيامُ منهيّ عنه في حديث النبي ﷺ، حيثُ نهى أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيَجْلِسَ الآخَرُ مَكَانَهُ) . (الجواهر الحسان في تفسير القرآن :٥ / ٤٠١)

وأما ما ورد عن الرسول ﷺ في مراعاة الذوق والآداب ففي الطعام والشراب ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: (ما عابَ رسولُ اللَّهِ ﷺ طعامًا قط ،كان إذا اشتَهى شيئًا أكله، وإنْ كَرِهَهُ تَرَكَه). (الجامع الصحيح :٥/ ٢٣١٩رقم ٥٩٣٢)، (صحيح مسلم :٤ / ١٧١٨ رقم ٢١٨٤)، وعَنْ جَرِيرٍ ﷺ، قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» الصحيحين

وأما الآداب والذوق في الأماكن العامة فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ أَكَلَ منْ هذهِ الشَّجرةِ فلا يقْربنَّ مسْجدنا، ولا يُؤذينَا بريحِ الثَّوْمِ». (الجامع الصحيح :٥/ ٢٠٦٥،رقم: ٥٠٩٣)، (صحيح مسلم :٣ / ١٦٣٢رقم :٢٠٦٤)، وعن عائشة ﷺ أنها قالت: (كان الناسُ يَنتابونَ الجمعةَ من منازلهم من العوالي، فيأتون في العَباء ويصيبهم الغُبار فتخرج منهم الريح، فأتى رسول الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنكُم تَطْهرتُم ليومِكم هذا» (الجامع الصحيح :١/ ٣٠٦رقم: ٨٦٠)، (صحيح مسلم :٢ / ٥٨١ ،رقم :٨٤٧), (ينتابون الجمعة) أي يأتونها و(العوالي) هي القرى التي حول المدينة (العَباء) هو جمع عباءة.

وعن أبي قتادة ﷺ: أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء. ،(صحيح مسلم واللفظ له ٣/ ١٦٠١ رقم: ٢٦٧)، وعن شقيق عن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إِذَا كُنتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فإنَّ ذلك يُحزِنَهُ»، (صحيح مسلم :١ / ٣٩٤ رقم: ٥٦٢)

قال ابن بطال ﷺ: (أي: لا يتسار اثنان –يتكلمان سراً–، ويتركا صاحبهما خشية الإيحاش له، فيظن أنهما يتكلمان فيه أو يتجنبان جهته ، وقد جاء هذا المعنى بيناً، في رواية ابن عمر قال:

قال رسول الله: « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دُون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يُحزنه» ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ . (شرح صحيح البخاري لابن بطال :٩ / ٦٢) ، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ ». رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني والحاكم إلا أنه قال ليس منا (صحيح الترغيب والترهيب ج١ /٢٤ رقم:١٠١)، وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ» صحيح البخاري (٨ / ٥٢)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ» ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ» الصحيحين،وعن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» الصحيحين، وعن الذوق العام في المنظر روى ابْنُ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ» قَالَ: قُلْتُ لِنَافِعٍ وَمَا الْقَزَعُ قَالَ: «يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ وَيُتْرَكُ بَعْضٌ» صحيح مسلم (٣ / ١٦٧٥)

قال عنترة:

أَغشى فَتاةَ الحَيِّ عِندَ حَليلِها ... وَإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشاها

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدت لي جارَتي ... حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ ... لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها

تم بحمد الله

muath.t.y
www.muath.org

جمعية معاذ العلمية

مشروع

الحلقات القرآنية

هدف المشروع

خدمة كتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة وعملاً، والمساهمة في تحصين الشباب من الأفكار المنحرفة، وتربية الجيل على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

كفالة الحلقة الواحدة في السنة

800 $

المركز الرئيس:
شارع جمال تعز - اليمن
+967711120996
+9674250845

حسابنا البنكي:
مصرف اليمن البحرين الشامل 5699480
بنك سبأ الإسلامي 45021

جمعية معاذ العلمية

لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية

تصميم/ حلمي الخليدي
967+ 777 728 013

معاذ
جمعية معاذ العلمية لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية
أصالة النشأة .. وسمو الهدف

المركز الرئيس: شارع جمال تعز - اليمن
+967711120996 +9674250845
حساباتنا البنكية
مصرف اليمن البحرين الشامل 5699480
بنك سبأ الإسلامي 45021